

مختصر کتاب

کشف شبهات الصوت

مختصر كتاب

كَيْفُ شِبْهَاتِ الضُّوئِ
فِي

جمع وترتيب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طبعة جليلية منقحة ومزينة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

رقم الإيداع

٢٠٠٦ / ١٦٤٣٣

أقوال ليست عابرة

* قال الإمام أبو بكر الطُّرُطُوشِيّ - ونقله الإمام القرطبي والشيخ عطية صقر ، رحمهم الله - : « مَذْهَبُ الصُّوفِيَّةِ بَطَالَةٌ وَجَهَالَةٌ وَضَلَالَةٌ ، وَمَا الْإِسْلَامُ إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ » (١).

* قال فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم - شيخ الأزهر الأسبق / : « النذر لأصحاب الأضرحة والأولياء والصالحين باطل بالإجماع لأنه نذر لمخلوق ، وهو غير جائز لأن النذر عبادة ، وهى لا تكون لمخلوق أبداً ، ولأن المندور له ميت والميت لا يملك ».

(١) تفسير القرطبي ، (١١ / ٢٣٨) ، فتاوى دار الإفتاء المصرية ، نسخة إلكترونية على موقع وزارة الأوقاف المصرية www.islamic-council.com . تاريخ الفتوى: مايو ١٩٩٧م.

* وقال أيضًا /: « إذا ظن الناذر أن الميت يتصرف في الأمور دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى واعتقده كان ذلك كفرًا »^(١).
وقال أيضًا /: « لا يجوز دفن الموتى في المساجد »^(٢).

* وقال فضيلة الشيخ عبد الرحمن قراعة مفتي مصر الأسبق /: « النذر لمخلوق لا يجوز ؛ لأنه عبادة والعبادة لا تكون لمخلوق. كذلك النذر للميت ؛ لأنه لا يملك. والاعتقاد بأنه يتصرف في الأمور دون الله تعالى كفرٌ »^(٣).

* وقال فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي /: « نعلم أن الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُقَسِّمُ بما يشاء على ما يشاء ، أما نحن

(١) فتاوى دار الإفتاء المصرية ، تاريخ الفتوى: محرم ١٣٦٤ هجرية - ٢٥ ديسمبر ١٩٤٤ م.

(٢) فتاوى دار الإفتاء المصرية ، تاريخ الفتوى: جمادى الأولى ١٣٥٩ هجرية - ٢٢ من يونيه ١٩٤٠ م.

(٣) فتاوى دار الإفتاء المصرية ، تاريخ الفتوى: رمضان ١٣٤٥ هجرية - ١٩ مارس ١٩٢٧ م.

فلا نقسم إلا بالله ، وفي الحديث الشريف: « مَنْ كَانَ حَالِفًا ، فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ »^(١).

* قال فضيلة الشيخ حسن مأمون مفتي الديار المصرية الأسبق / : « أصل الدعوة الإسلامية يقوم على التوحيد ، والإسلام يحارب - جاهداً - كل ما يُقَرِّب الإنسان من مزالق الشرك بالله ، ولا شك أن التوسل بالأضرحة والموتى أحد هذه المزالق ، وهي رواسب جاهلية »^(٢).

* وقال الشيخ محمود شلتوت- شيخ الأزهر الأسبق - / : « مها قال عُشَّاق الموالد ، والمتكسبون بها ومروجوها - مِنْ أَنْ فِيهَا ذِكْرُ اللَّهِ وَالْمَوَاعِظُ ، وفيها الصدقات وإطعام الفقراء - فَإِنَّ بَعْضَ مَا تَرَاهُ فِيهَا وَيَرَاهُ

(١) في تفسير قوله تعالى: (تَأْتِيهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ فِي يَوْمٍ أَلِيمٍ) (النحل: ٦٣). والحديث رواه البخاري ومسلم.

(٢) فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف حول الأضرحة والقبور والموالد والندور ، ط دار اليُسر بالقاهرة ، (ص ٥٧ - ٦٠).

كل النَّاسِ مِنْ أَلْوَانِ الْفُسُوقِ ، وَأَنْوَاعِ الْمَخَازِي ، وَصُورِ
التَّهْتِكِ ، وَالْإِسْرَافِ فِي الْمَالِ ؛ مَا يَحْتَمُّ عَلَى رِجَالِ الشُّؤْنِ
الاجتماعية ، وَقَادَةَ الإِصْلَاحِ الخُلُقِيِّ وَالدِّينِيِّ ، الْمَبَادِرَةَ
بِالْعَمَلِ عَلَى إِبْطَالِهَا وَمَنْعِهَا ، وَوَضْعِ حَدِّ لِمَخَازِيهَا ، وَتَطْهِيرِ
الْبِلَادِ مِنْ وَصْمَتِهَا «^(١) .

* وقال الشيخ عطية صقر رئيس لجنة الفتوى بالأزهر -
سابقاً - / :

« يوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول ليس فيه عبادة خاصة
بهذه المناسبة ، وليس للصوم فيه فضلٌ على الصومِ في أيِّ يومٍ
آخَرَ ، والعبادةُ أساسُها الاتِّباعُ ، وحبُّ الرسولِ يكونُ
باتِّباعِ ما جاء به كما قال فيما رواه البخاري ومسلم: « ...
فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي »^(٢) .

(١) الفتاوى ، للإمام الأكبر محمود شلتوت / ، ط دار الشروق (ص ١٦٧ -
١٦٩).

(٢) فتاوى دار الإفتاء المصرية ، تاريخ الفتوى: مايو ١٩٩٧ م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ
مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا
مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .
(يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ) (آل عمران : ١٠٢) . (يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي
خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً
وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)
(النساء : ١) . (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا
يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) . (الأحزاب : ٧٠ - ٧١) .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ
هَدْيُ مُحَمَّدٍ ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ،
وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

فقد اقترح عليَّ أحد الأوصحاب الفضلاء عمل مختصر
لكتاب (كشف شبهات الصوفية) الذي فيه كشف لبعض
الشبهات التي يثيرها الصوفية للاستدلال على البدع التي
نسبها للإسلام - دين التوحيد - والإسلام منها براء .

وغيره - وفقه الله - من هذا الاقتراح تيسير الانتفاع
بما ورد بالكتاب الأصلي ، ومن أراد التفصيل فعليه
بالأصل .

وقد نُقِلَتْ الردود من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ،
والإمام محمد بن عبد الوهاب ، والشيخ الألباني - خاصةً
كتايبه: (التوسل ، أنواعه وأحكامه) و(تحذير الساجد من
اتخاذ القبور مساجد) ، ومن كتب الشيخ ابن باز ، والشيخ
ابن عثيمين - رحمهم الله جميعاً - ومن كتب ومقالات
لآخرين .

والله نَسأل أن ينفع المسلمين بهذه الورقات وأن يرزقنا
الإخلاص في السر والعلن ، وصلى الله وسلم وبارك على
عبده ونبيه - سيدنا محمد - وعلى آله وصحبه ومن اهتدى
بهديه إلى يوم الدين .

شحاتة محمد صقر

sakrmhma@yahoo.com

الباب الأول

هل تعلم أيها المسلم؟!

١- هل تعلم أن من حق الله عزَّوجلَّ عليك أن تعبدَه ولا تشرك معه غيره ، ومن حَقك عليه إن عبدته ولم تشرك معه غيره أن يدخلك الجنة؟

وهل تعلم أن الدعاء والاستغاثة بذوات الأحياء أو الأموات ، وطلب الحاجات التي لا يقدر عليها إلا الله عزَّوجلَّ ، مثل طلب الولد ، والمغفرة ، ونحوهما ، من باب الشرك الأكبر الذي يخلد صاحبه في النار ، والمبطل لجميع الأعمال ، المانع من شفاعة سيد الأبرار ؟^(١).

(١) تَنْبِيْهُ: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الْقَوْلُ قَدْ يَكُونُ كُفْرًا فَيُطْلَقُ الْقَوْلُ بِتَكْفِيرِ صَاحِبِهِ ، وَيُقَالُ مَنْ قَالَ كَذًا فَهُوَ كَافِرٌ ، لَكِنَّ الشَّخْصَ الْمُعَيَّنَ الَّذِي قَالَهُ لَا يُحْكَمُ بِكُفْرِهِ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ الَّتِي يَكْفُرُ تَارِكُهَا». (مجموع الفتاوى ٣٤٥/٢٣).

٢- هل تعلم أن التوسل المشروع له ثلاث وسائل ،
وما سواها توسل ممنوع؟
والوسائل المشروعة هي:

أ- التوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بأي اسم من أسمائه
الحسنى ، وبأي صفة من صفاته العلا ، نحو: يا رب ، يا
حي ، يا قيوم.

ب- التوسل بالأعمال الصالحة ، كتوسل الثلاثة
الذين دخلوا الغار فانسد عليهم ، فتوسل كل منهم بصالح
عمله ، ففَرَّجَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُمْ كما أخبر نبينا الصادق
المصدوق .

ج- طلب الدعاء من الحي ، نحو توسل الأعمى
بدعاء رسول الله ، كما جاء في حديث عثمان بن أبي
حنيف ، حيث طلب الرسول من الأعمى أن يتوضأ
ويصلي ركعتين ، ويسأل الله أن يقبل شفاعته رسوله فيه
، فدعاه رسول الله ، فرد الله بصره .

وكاستسقاء عمر بدعاء العباس ، ولا يظن
خاطئ أن عمر استسقى بذات العباس ، إذ لو كان
الاستسقاء بذاته لاستسقى عمر بذات النبي ، وهو
أفضل من العباس ومن جميع الخلق ، بأبي هو وأمي .

٣- هل تعلم أن رسولك قال: « لَا تُظْرُونِي
كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ
اللَّهِ وَرَسُولُهُ »؟ (رواه البخاري). والإطراء هو المبالغة في
المدح والكذب فيه ، ومن ذلك اعتقاد بعض الناس:

أ- أن الرسول خلق من نور ، وجميع الأنبياء
من لدن آدم خلقوا من نوره ، وهذا منافٍ لما أخبر به الله
عَزَّوَجَلَّ أنه من بني آدم ، وقد خلق الله آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ من
طين.

ب- اعتقادهم أن الرسول حيٌّ في قبره كحياته
قبل موته ، يستقبل الزائرين ويصافحهم ونحو ذلك ، وقد
قال الله تَعَالَى: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) (الزمر: ٣٠) ، وقال

عَزَّوَجَلَّ: (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَايِنَ مِّتَّ فَهُمْ
الْخَالِدُونَ) (الأنبياء: ٣٤).

مع يقيننا الصادق أن روحه في أعلى الجنان ، وأن
الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَرَّمَ على الأرض أجساد الأنبياء ، وأن
الحياة البرزخية تختلف عن الحياة الدنيا وعن الحياة الآخرة.

ج- اعتقادهم أن الرسول يُرى يقظة بعد أن
انتقل إلى الرفيق الأعلى ، بل منهم مَنْ يزعم أنه يكلم الله
عَزَّوَجَلَّ من غير واسطة ، وأنهم أخذوا عن الرسول
بعض الصلوات والأذكار ، وأنه يحضر الموالد ،
والبعض إذا جلسوا لذكر الجمعة فرشوا ملاءة ، وزعموا أن
الرسول يجلس في وسطها ، وخلفاؤه الراشدون في
أركانها.

هذا الاعتقاد - مع ما فيه من المخالفة - مخالف لما كان
عليه السلف الصالح من لدن الصحابة ومن بعدهم ، حيث
لم يزعم أحد منهم أنه اجتمع برسول الله مع حاجتهم
الماسّة لذلك ، ومنزلتهم العالية عنده .

٤- هل تعلم أن كل الأوراد والأذكار ، والصلوات ، والاحتفالات ، والموائد ، والحوليات التي لم يتعبد بها رسول الله وصحبه الكرام ربهم عزَّوَجَلَّ ، والتي لم تكن معروفة لديهم - هل تعلم أنها مردودة على مَنْ فعلها ، وهذا حكم رسول الله ؛ لأن العبادات توقيفية لا يجوز الزيادة عليها ولا النقصان؟ قال : « مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » (رواه البخاري ومسلم). وقال: « مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ ». (رواه مسلم).

لماذا يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير؟ لماذا يتركون الأذكار والصلوات التي خرجت من فم من لا ينطق عن الهوى ، ويتمسكون بأوراد وأذكار وضعها غيره من البشر؟

قال الإمام النووي / بعد أن ذكر صيغ الصلاة على الرسول وصفتها: « وأما ما قاله أصحابنا وابن أبي زيد المالكي من استحباب زيادة على ذلك (وارحم محمدًا وآل محمد) ، فهذه بدعة لا أصل لها ، وقد بالغ الإمام أبو بكر بن

العربي المالكي في كتابه (شرح الترمذي) في إنكار ذلك ،
وتخطئة ابن أبي زيد ، وتجهيل فاعله ، قال: لأن النبي
علمنا كيفية الصلاة عليه ، فالزيادة على ذلك استقصار
لقوله ، واستدراك عليه «(١)» .

٥- هل تعلم أيها المسلم أنه لا طاعة لمخلوق في
معصية الخالق ، وإنما الطاعة في المعروف؟ كما أخبر صاحب
الشرعية .

٦- هل تعلم أن ما لم يكن في عهد النبي ديناً فلن
يكون اليوم ديناً؟ فالدين تم وكمل .

قال الإمام مالك / : « من ابتدع في الإسلام بدعة
يرأها حسنة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة ؛ لأن الله
يقول: (أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) (المائدة: ٣) ، فما لم يكن
يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً «(٢)» .

(١) الأذكار (١/ ١٦٤) .

(٢) الاعتصام للإمام الشاطبي (١/ ٥٤) .

٧- هل تعلم أن تقسيم العلم إلى علم شريعة وحقيقة ، أو علم ظاهر وباطن ، أو ما يعرف بـ(العلم اللدني) ، لا أساس له من الصحة؟ وأن هذا التقسيم ما أنزل الله به من سلطان ، ولم يُؤثر عن عَلم من الأعلام ، وإنما اخترعه الشيطان على أوليائه ليُلبس عليهم ، وليتمكن من إضلالهم؟ حيث زعموا أن العلم اللدني يُلقن تلقينًا ، ولا يحتاج إلى تعليم ، ومعلوم من دين الله أن العلم بالتعلم ، ولو كان العلم بالتلقين لَنَالَهُ سيد البرية ، ولكن عَلمه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

عمدتهم في هذا التقسيم قصة الخضر مع موسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وقوله تَعَالَى: (وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا) (الكهف: ٦٥) ، وليس في ذلك أدنى دليل ؛ فالقول الراجح أن الخضر نبيٌّ من الأنبياء ، وأن الله عَزَّوَجَلَّ أوحى إليه بأمور لم يُوحِها لكليمه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ولهذا قال في نهاية القصة: (وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِ) (الكهف: ٨٢).

والحق كذلك أن الحِضْرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مات ، ولو كتب
الله عَزَّوَجَلَّ الخلود لأحد لكتبه لخاتم الأنبياء والرسول ؛
قَالَ تَعَالَى: (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ
الْخَالِدُونَ) (الأنبياء: ٣٤).

٨- هل تعلم أن الولاية ليست بالتوارث ، وإنما هي
بالإيمان والتقوى؟ قال تعالى: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (يونس: ٦٣). فكل
مؤمن تقي فهو ولي الله عَزَّوَجَلَّ ، وطالما أن الناس يتفاوتون في
إيمانهم وتقواهم فإنهم لا شك متفاوتون في ولايتهم.

٩- هل تعلم أنه ليس كل خارق كرامة؟ إذ الخوارق
منها ما هو من باب الشيطان والاستدراج ، ومنها ما هو من
السحر ، ولهذا فإن ضابط الكرامة الأساسي هو الاستقامة
على دين الله ، ولهذا ورد عن السلف أن أكبر كرامة هي
الاستقامة.

ورحم الله الإمام الشافعي / عندما قال: « إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء أو يطير في الهواء ، فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة »^(١).

١٠- هل تعلم أن هناك أمورًا خُصَّ بها نبينا وحبينا محمد ، لا يشاركه فيها أحد من الأمة ، مهما كانت مكانته وعلت منزلته؟ منها: التبرك بما انفصل منه من شعر ، ومن ماء وضوء ، فلا يجوز لأحد أن يمارس هذا مع أحد من الخلق ، ولو جاز هذا لأحد لجاز لخلفائه الراشدين والأئمة المهديين ، حيث لم يُنقل أن أحدًا صنع معهم شيئًا من ذلك.

١١- هل تعلم أن البناء على القبور ، والتعلق بها ، والتمسح والدعاء عندها ، ليس من سمات أتباع من نزل عليه القرآن ؟ فقد لعن رسول الله اليهود

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٢٣٣).

والنصارى لا تخادهم قبور أنبيائهم مساجد ، ولعن زوّارات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج .

١٢- هل تعلم أنه لا يَسَعُ أَحَدٌ من هذه الأمة

مخالفة أمر الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ، أو الخروج عن شرع نبينا محمد ، بأن يزعم أن بعض التكاليف الشرعية تُرْفَع عنه ، فمن ادعى ذلك أو صدّق مَنْ ادعاه فقد كفر بما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ على نبيه محمد .

الباب الثاني

الأدلة على حرص النبي

على نقاء وصفاء أصلي التوحيد:

« لا إله إلا الله ، محمد رسول الله »

الدليل الأول: أنه رأى يوماً بيد عمر بن

الخطاب ورقة من التوراة ، وكان عمر قد

أعجبه ما فيها ، فغضب رسول الله غضباً شديداً ،

وقال لعمر: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بِيَضَاءٍ

نَقِيَّةً ، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقِّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ ،

أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى

كَانَ حَيًّا ، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي » (رواه الإمام أحمد في

المسند ، وحسنه الألباني).

وفي هذا الحديث من الفقه:

أولاً: أن الرسول تعجب أن يبدأ الاهتداء بغير

الكتاب والسنة وهو ما زال حياً. ومن مقتضى الإيمان

بالكتاب والسنة أن يعتقد أن الهدي فيها وحدهما.

ثانيًا: أن الرسول قد جاء بالدين نقيًا خالصًا ، لم تُشبهه شائبة من تغيير أو تبديل أو تحريف ، والصحابة يتلقونه غضًا طريًا خالصًا ، فكيف ينصرفون عنه ويهتدون بما شابه التحريف والتبديل والزيادة والنقص .

ثالثًا: أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ نفسه الذي نزلت عليه التوراة لو أنه حي موجود لكان اللازم في حقه هو متابعة الرسول ، وترك شريعته التي بلغها للناس .

وهذا الحديث أصل في بيان منهج الكتاب والسنة ، وأنه لا يجوز لأحد أن يهتدي بعلم يقرب إلى الله ، ويصلح النفس غير الذي بعث به رسول الله حتى لو كان أصله من شريعة منزلة علي أحد الأنبياء السابقين .

الدليل الثاني: أن رسول الله سمع خطيبًا

يخطب بين يديه فكان مما قاله: من يطع الله ورسوله فقد رشد ، وَمَنْ يَعَصِهَا فَقَدْ غَوَى ، فقال له رسول الله : « بئس الخطيب أنت ، قُلْ: وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ » (رواه مسلم).

فهذا الخطيب قد قاطعه رسول الله ، وقبح قوله ،
 أمام الناس ، والسبب أنه جمع بين الله ورسوله في ضمير
 واحد (وَمَنْ يَعِصْهُمَا) فأمره الرسول بأن يعيد ذكر
 الاسم الظاهر لله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ، حتى لا يُظن -
 ولو من بعيد - أن منزلة الرسول كمنزلة الله
 سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وهذا الحرص من الرسول دليل على وجوب
 صون جناب توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى صوناً كاملاً ، ووجوب
 التفريق التام بين ما يجب لله عَزَّوَجَلَّ ، وما يجب لرسول
 الله .

الدليل الثالث: أن رجلاً جاء إلى الرسول
 فقال له: « مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ » ، قَالَ: « جَعَلْتَ لِلَّهِ نِدًّا ،
 مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ » [رواه أحمد والبخاري في (الأدب
 المفرد) وغيرهما ، وأورده الألباني في (السلسلة الصحيحة
 رقم ١٣٨)]

الدليل الرابع: عَنْ أَبِي وَاقِدِ اللَّيْثِيِّ أَنَّ

رَسُولَ اللَّهِ لَمَّا خَرَجَ إِلَى خَيْبَرَ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلَّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ فَقَالُوا: « يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ ». فَقَالَ النَّبِيُّ : « سُبْحَانَ اللَّهِ ، هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى :

(اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ) (الأعراف: ١٣٨). وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبَنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ». (رواه الترمذي وصححه الألباني).

فَبَيَّنَ أَنَّ هَذَا مِنْ عَمَلِ الْمُشْرِكِينَ ، وَأَنَّ مِثْلَهُمْ فِي هَذَا شَرِكٌ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، إِذْ طَلَبَ الْبَرَكَةَ وَالنَّصْرَ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ شَرِكًا بِهِ عَزَّوَجَلَّ.

الدليل السادس: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ

قَالَ: « مَنْ أَتَى كَاهِنًا ، أَوْ عَرَّافًا ، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ » (رواه الإمام أحمد في المسند ، وصححه الألباني).

البَابُ الثَّالِثُ

دعوة إلي

التمسك بالكتاب والسنة

قَالَ تَعَالَى: (فَإِن نُنزَعُكُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)
(النساء: ٥٩).

وقال رسول الله : « فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ ، تَمَسَّكُوا بِهَا ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلِّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ». (رواه أبو داود ، وصححه الألباني).

وروى مسلم لفظة: « كُلِّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ».

(عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ): كناية عن شدة التمسك بها ،
و(النَّوَاجِدِ): الأضراس .

وقال عبد الله بن مسعود : « اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا ،

فَقَدْ كُفِّتُمْ « (رواه الدارمي). وقال الإمام الزهري / : «
الاعتصام بالسنة نجاة ؛ لأن السنة - كما قال مالك - مثل
سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك «(١).

الْعِلْمُ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ

قال الصحابة ليس بالتمويه

ما العلم نصبك للخلاف سفاهاً

بين الرسول وبين قول فقيه

قَالَ تَعَالَى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمْ اللَّهُ)

(آل عمران: ٣١) فقد جعل سبحانه وتعالى علامة محبته اتباع

الرسول فمن لم يتبع الرسول وادعى محبة الله

تعالى فهو كاذب في دعواه فإن عصيان الرسول

عصيان لله عَزَّوَجَلَّ ، وَقَالَ تَعَالَى: (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ

أَطَاعَ اللَّهَ) (النساء: ٨٠) وعصيان الله عَزَّوَجَلَّ ينافي محبته ؛

(١) انظر: مفتاح الجنة في الاعتصام بالسنة ، للسيوطي (ص ١٦٢).

فالخير في اتباع الرسول والشر في مخالفة سنته ، فإذا
الواجب علينا معاشر المسلمين اتباعه في جميع أقواله
وأفعاله والتأسي به في سائر أحواله ، قَالَ تَعَالَى: (وَمَا آتَاكُمْ
الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) (الحشر: ٧) ، وَقَالَ
تَعَالَى: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ
يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (النور: ٦٣).

قال الحافظ ابن كثير: « (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ
أَمْرِهِ) أي: عن أمر رسول الله ، وهو سبيله ومنهاجه
وطريقته وشريعته فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله ،
فما وافق ذلك قبل وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله ،
كائناً من كان كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول
الله أنه قال: « مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ
رَدٌّ » (رواه البخاري ومسلم) أي: فليحذر وليخش من
خالف شريعة الرسول باطناً أو ظاهراً (أَنْ تُصِيبَهُمْ
فِتْنَةٌ) أي: في قلوبهم ، من كفر أو نفاق أو بدعة (أَوْ

يُصِيبُهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) أي: في الدنيا ، بقتل أو حدٍّ أو حبسٍ ،
أو نحو ذلك « اهـ.

ولا يُعْرَفُ الحق في مسألةٍ ما بكثرة القائلين به ، بل
يُعرف الحق بالدليل من الكتاب والسنة.

**أقوال الأئمة في اتباع السنة وترك
أقوالهم المخالفة لها^(١) :**
* الإمام أبو حنيفة / :

١- « إذا صح الحديث فهو مذهبي ».

٢- « إذا قُلْتُ قولاً يخالف كتاب الله وخبر
الرسول فاتركوا قولي ».

* الإمام مالك بن أنس / :

١- « إنما أنا بشر أخطيء وأصيب ، فانظروا في رأيي
فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل ما لم يوافق

(١) انظر تحريج هذه الأقوال في كتاب (صفة صلاة النبي) للشيخ الألباني
(ص ٢١-٢٩).

الكتاب والسنة فاتركوه .»

٢- « ليس أحد بعد النبي إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا النبي .»

* الإمام الشافعي /:

١- « إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله فقولوا بسنة رسول الله ودعوا ما قلت .»

٢- « إذا صح الحديث فهو مذهبي .»

٣- « كل حديث عن النبي فهو قولي ، وإن لم تسمعه مني .»

* الإمام أحمد بن حنبل /:

١- « لا تقلدني ولا تقلد مالكا ، ولا الشافعي ، ولا الأوزاعي ، ولا الثوري ، وخذ من حيث أخذوا .»

٢- « من رد حديث رسول الله فهو على شفا هلكة .»

البَابُ الرَّابِعُ

ما هو التصوف؟

التصوف حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنزعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة كَرَدِّ فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري. ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرقاً مميزة معروفة باسم الصوفية.

ولا شك أن ما يدعو إليه الصوفية من الزهد والورع والتوبة والرضا إنما هي أمور يحث الإسلام على التمسك بها والعمل من أجلها، ولكن الصوفية في ذلك يخالفون ما دعا إليه الإسلام حيث ابتدعوا مفاهيم وسلوكيات مخالفة لما كان عليه الرسول وصحابته؛ فالمتصوفة يتوخون تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله تعالى بالكشف والمشاهدة لا عن طريق اتباع الوسائل الشرعية.

ويخلط الكثيرون بين الزهد والتصوف ومن هنا كان تأثر الكثيرين بالتصوف ؛ فالزهد ليس معناه هجر المال والأولاد ، وتعذيب النفس والبدن بالسهر الطويل والجوع الشديد والاعتزال في البيوت المظلمة والصمت الطويل وعدم التزوج.

ويعتقد كثير من الصوفية في الأولياء بأن لهم القدرة على إنزال المطر وشفاء الأمراض وإحياء الموتى وحفظ العالم من الدمار. ولا شك أن هناك آثارًا خطيرة تترتب على هذه العقيدة من أهمها الوقوع في شرك الربوبية والعياذ بالله.

البَابُ الخَامِسُ

كيف تجادل صوفياً؟

كثير من المسلمين الغيورين على الدين والكارهين للتصوف وخزعبلاته يبدءون في جدال الصوفي بالأمور الهامشية الفرعية كبدعهم في الأذكار ، وتسميتهم بالصوفية ، وإقامتهم للحفلات والموائد ، أو لبسهم للمرقعات أو نحو ذلك من المظاهر الشاذة التي يظهرون بها ، والبدء بالنقاش حول هذه الأمور بداية خاطئة تماماً.

وبالرغم من أن هذه الأمور جميعها هي بدع تخالف الشريعة ، ومفتريات في الدين ، إلا أنها تُخفي ما هو أمرٌ وأعظم ، ولذلك يجب على من يجادل الصوفي أن يبدأ بالأصول لا بالفروع.

أولاً: البداية في النقاش بمنهج التلقي وإثبات الدين؛

كيف نتلقى الدين؟ ونثبت العقيدة والعبادة ، وما هي مصادرنا لهذا التلقي؟ الإسلام يحصر مصدر التلقي في

الكتاب والسنة الصحيحة فقط ولا يجوز إثبات عقيدة إلا بنص من القرآن وقول الرسول ، ولا إثبات شريعة إلا بكتاب وسنة واجتهاد موافق لهما ، والاجتهاد يصيب ويخطئ ، ولا معصوم إلا كتاب الله وسنة رسوله فقط.

أما الصوفية فيزعمون أن شيوخهم يتلقونه عن الله رأساً ، وبلا واسطة ، وعن الرسول الذي يزعمون أنه يحضر مجالسهم وأماكن ذكرهم دائماً ، وعن الملائكة وعن الجن الذين يسمونهم بالروحانيين وبالكشف الذي يزعمون أن قلب الولي تنكشف له الغيوب فيرى ما في السموات والأرض ، وما سبق وما يأتي من الحوادث ، فالولي عندهم لا يعزب عن علمه ذرة في السموات ولا في الأرض.

ثانياً: تبين للصوفي المفاهيم الآتية:

١- ديننا هو الإسلام لا يقبل الله من أحد سواه. قَالَ

تَعَالَى: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ) (آل

عمران: ٨٥).

٢- معنى شهادة أن لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله.

٣- معنى شهادة أن محمداً رسول الله: تصديقه فيما أخبر ، وطاعته فيما أمر ، واجتناب ما عنه نهى وزجر ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

٤- أمرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْكَفْرِ بِالطَّاغُوتِ وَالْإِيْمَانِ بِاللَّهِ. قال تعالى: (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى) (البقرة: ٢٥٦) والعروة الوثقى هي: لا إله إلا الله ، ومعناها: لا معبود بحق إلا الله.

٥- أول ما فرض الله على الناس الإيْمَانُ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ والكفر بالطاغوت. كما قال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُوْلًا أَنْ اَعْبُدُوا اللّٰهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) (النحل: ٣٦) ، والطاغوت: كل ما عُبد من دون الله وهو راضٍ.

٦- صفة الكفر بالطاغوت: أن تعتقد بطلان عبادة غير الله تعالى وتتركها وتبغضها ، وتكفر أهلها وتعاديهم.

٧- خلق الله الجن والإنس لعبادته وحده. قَالَ تَعَالَى:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات: ٥٦).

٨ - العبادة ليست مقتصرة على الصلاة والصيام

والزكاة والحج ، بل العبادة اسم جامع لما يحبه الله عزَّوَجَلَّ ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

٩- أنواع العبادة كثيرة منها: الدعاء ، والخوف ،

والتوكل ، والصلاة ، والذكر ، وبر الوالدين وغيرها.

ودليل الدعاء قوله تَعَالَى: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِيْ

أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ

جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (غافر: ٦٠) ، ودليل الخوف قوله تَعَالَى:

(فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (آل عمران: ١٧٥) ،

ودليل التوكل قوله تَعَالَى: (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ) (المائدة: ٢٣) ، ودليل الصلاة قوله تَعَالَى:

(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (الروم:

٣١) ، ودليل الذكر قوله تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا

اللَّهُ ذِكْرًا كَثِيرًا) (الأحزاب: ٤١) ، ودليل بر الوالدين قوله

تَعَالَى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا) (الأحقاف: ١٥)

١٠- تُصَرَّفُ جميع أنواع العبادة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

وحده لا شريك له ، وصرَّف شيء منها لغير الله عَزَّوَجَلَّ كفر

وشرك. قَالَ تَعَالَى: (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ

بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ)

(المؤمنون: ١١٧).

١١- الكفر والشرك منه الأصغر والأكبر على ما هو

مفصل في كتب التوحيد.

١٢- الشرك ضد التوحيد ، فالتوحيد هو إفراد الله

تعالى بالعبادة ، والشرك هو صرف إحدى العبادات لغير

الله ، مثل أن يدعو غير الله ، أو يسجد لغير الله عَزَّوَجَلَّ .

١٣- الشرك أكبر الذنوب وأعظمها ؛ لقوله تَعَالَى:

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)

(النساء: ٤٨). والشرك الأكبر يبطل جميع الطاعات ،

ويوجبُ الخلود في النار وعدم دخول الجنة ، كما قال تَعَالَى:

(ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا)
لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (الأنعام: ٨٨) ، وقال تعالى:
(إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ
النَّارُ) (المائدة: ٧٢) .

١٤ - الكفر ينافي التوحيد ، فالكفر أقوال وأعمال
تُخْرِجُ فاعلها عن التوحيد والإيمان. ومثال الكفر: الاستهزاء
بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، أو آيات القرآن ، أو الرسول كما
قَالَ تَعَالَى: (قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ)
لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ (التوبة: ٦٥) ،
(٦٦) .

١٥ - النفاق ينافي التوحيد ، فالنفاق: أن يُظْهِرَ للناس
التوحيد والإيمان وَيُبْطِنُ في قلبه الشرك والكفر. ومثال
النفاق: أن يظهر بلسانه الإيمان بالله ويبطن الكفر كما قَالَ
تَعَالَى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ
بِمُؤْمِنِينَ) (البقرة: ٨) أي يقولون بألسنتهم آمنة بالله وما
هم بمؤمنين حقيقة في قلوبهم .

١٦ - أنواع التوحيد:

أ- توحيد الربوبية: وهو توحيد الله بأفعاله
 سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مثل الخلق والرزق وتدبير الأمور والإحياء
 والإماتة ونحو ذلك. فلا خالق إلا الله ، كما قَالَ تَعَالَى: (اللَّهُ
 خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ) (الزمر: ٦٢) ولا رازق إلا الله ، كما قَالَ
 تَعَالَى: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) (هود: ٦)
 ولا مدبر إلا الله ، كما قَالَ تَعَالَى: (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى
 الْأَرْضِ) (السجدة: ٥) ، ولا محيي ولا مميت إلا الله ، كما
 قَالَ تَعَالَى: (هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (يونس:
 ٥٦).

وهذا النوع قد أقرب به الكفار على زمن الرسول ،
 ولم يُدْخِلْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ ، كما قَالَ تَعَالَى: (وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ
 خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) (لقمان: ٢٥).

ب - توحيد الألوهية: وهو توحيد الله عَزَّوَجَلَّ بأفعال
 العباد التي أمرهم بها. فتصرف جميع أنواع العبادة لله وحده

لا شريك له ، مثل الدعاء والخوف والتوكل والاستعانة والاستعاذة وغير ذلك.

وهذا النوع من التوحيد هو الذي جاءت به الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، حيث قال تَعَالَى: (بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) (النحل: ٣٦). وهذا النوع من التوحيد هو الذي أنكره الكفار قديماً وحديثاً ، كما قال تعالى على لسانهم: (أَجْعَلُ الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ) (ص: ٥).

ج- توحيد الأسماء والصفات: وهو الإيمان بكل ما ورد في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته التي وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله على الحقيقة.

وأسماء الله عَزَّوَجَلَّ كثيرة ، منها: الرحمن ، والسميع ، والبصير ، والعزیز ، والحكيم. قَالَ تَعَالَى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ) (الشورى: ١١).

١٧- من أصول عقيدة السلف الصالح - أهل السنة والجماعة - حُب أصحاب رسول الله .

١٨- من أصول عقيدة السلف الصالح - أهل السنة والجماعة - حُب أهل بيت النبي ؛ عملاً بقوله :
« أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي » (رواه البخاري). ومن أهل بيته أزواجه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ وهن أمهات المؤمنين بنص القرآن.

وحب آل البيت ليس معناه عبادتهم من دون الله كدعائهم والاستغاثة بهم ؛ فإن من الناس من يدعُ غير الله عَزَّوَجَلَّ من الأنبياء والصالحين وهذا الدعاء عبادة وصرفها لغير الله شرك.

قال : « إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ » ثم قرأ: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (غافر: ٦٠). (رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، وصححه الألباني).

**ثالثاً: التدرج في مناقشة أخطائه حسب
خطورتها على العقيدة** فتكون البداية بأخطائه في
صرف العبادة - من الدعاء والنذر والذبح وغيرهم - لغير
الله عزَّوَجَلَّ.

رابعاً: الرد على الشبهات التي يستدل بها؛
فالصوفية لهم كتب وشبهات كثيرة ، والواجب علينا أن
نتعلم من دين الله ما يصير لنا سلاحاً نقابلهم به فجدد الله
هم الغالبون بالحجة واللسان ، كما أنهم الغالبون بالسيف
والسنان ، وإنما الخوف على من يسلك الطريق إلى الله وليس
معه سلاح.

وأحياناً يستدل الصوفي بشبهات عقلية ، وعندئذ يجب
أن يُعَلَّم أن العقل ليس مصدرًا من مصادر التشريع ، وأنه
يجب رَدُّ النزاع إلى الكتاب والسنة الصحيحة ؛ قَالَ تَعَالَى:
(فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (النساء: ٥٩)

خامساً: عليك بالرفق والمجادلة بالتي هي أحسن ؛ لعل الله أن يهديه على يدك:

قال الله عزَّوجلَّ: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ
وَأَلْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۗ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (النحل: ١٢٥).

قال الحافظ ابن كثير /: « يقول تعالى أمراً رسوله
محمدًا أن يدعو الخلق إلى الله (بِالْحُكْمَةِ) قال ابن
جرير: وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسنة (وَأَلْمَوْعِظَةِ
الْحَسَنَةِ) أي: بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس ، ذكَّره
بها ، ليحذروا بأس الله تعالى.

وقوله: (وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) أي: من
احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق
ولين وحسن خطاب ، فأمره تعالى بلين الجانب ، كما أمر
موسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، حين بعثهما إلى فرعون
فقال: (فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) (طه: ٤٤).

وقوله: (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (النحل: ١٢٥) أي: قدم عليم الشقي منهم والسعيد ، وكتب ذلك عنده وفرغ منه ، فادعهم إلى الله ، ولا تذهب نفسك على من ضل منهم حسرات ؛ فإنه ليس عليك هداهم إنما أنت نذير ، عليك البلاغ ، وعلينا الحساب . اهـ .

ولك في رسول الله الأسوة الحسنة حيث قال: « إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ » (رواه مسلم).

وقال أيضا: « إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ ، وَيُعْطِي عَلَيْهِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ » (رواه ابن ماجه وصححه الألباني).

البَابُ السَّاسِسُ

كشف شبهات الصوفية

الفصل الأول

الدعاء والذبح

والنذر والاستغاثة بغير الله

النذر نوع من أنواع العبادة التي هي حق لله وحده ، لا يجوز صرفُ شيء منها لغيره ، فمن نذر لغيره فقد صرف لمن نذر له نوعاً من العبادة التي هي حق الله عزَّوجلَّ ، وصرفُ نوعٍ من أنواع العبادة نذرًا أو ذبحًا أو غير ذلك لغير الله يعتبر شركًا مع الله غيره داخلاً تحت عموم قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (إِنَّهُ مِنْ يُشْرِكِ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) (المائدة: ٧٢) ، وكل من اعتقد من المكلفين المسلمين جواز النذر والذبح للمقبورين ؛ فاعتقاده هذا شرك أكبر مخرج عن الملة.

والنذر لغير الله شرك ، والذبح لغير الله شرك ؛ لقول
الله تعالى: (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ
فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) (البقرة:
٢٧٠) وقال تعالى: (قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الأنعام: ١٦٢) ، وقال : « لَعَنَ اللَّهُ
مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ » (رواه مسلم).

والنذر داخل في قوله تعالى: (وَنُسُكِي).

والاستغاثة بالأموات أو الغائبين ودعاءهم من دون
الله أو مع الله شرك أكبر يخرج من ملة الإسلام ، سواء كان
المستغاث به نبياً أم غير نبي ، قَالَ تَعَالَى: (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ
إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا
يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) (المؤمنون: ١١٧).

وقال عز وجل: (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا
يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ) (١٣) إن تدعوهم لا يسمعون دعاءكم ولو

سَمِعُوا مَا أَسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا
يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (فاطر: ١٣ - ١٤).

أما من استغاث بالله وسأله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى - وحده -
متوسلاً بجاههم أو طاف حول قبورهم دون أن يعتقد فيهم
تأثيراً وإنما رجا أن تكون منزلتهم عند الله سبباً في استجابة
الله له فهو مبتدع آثم مرتكب لوسيلة من وسائل الشرك ،
ويخشى عليه أن يكون ذلك منه ذريعة إلى وقوعه في الشرك
الأكبر.

والتوحيد هو أفراد الله بالعبادة ، وهو دين الرسل
الذي أرسلهم الله به إلى عباده. فأولهم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ أرسله
الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين وداً وسواعاً ويعوث
ويعوق ونسراً ، وآخر الرسل نبينا محمد ، وهو الذي
كسر صور هؤلاء الصالحين ، أرسله إلى قوم يتعبدون
ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً ، ولكنهم يجعلون
بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله.

يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله ، ونريد شفاعتهم عنده ؛ مثل الملائكة ، وعيسى ، ومريم ، وأناس غيرهم من الصالحين.

فبعث الله إليهم محمداً يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله عَزَّوَجَلَّ لا يصلح منه شيء لغير الله لا لملك مُقَرَّب ، ولا لنبي مرسل فضلاً عن غيرهما ، وإلا فهؤلاء المشركون مقرون يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له وأنه لا يرزق إلا هو ، ولا يحيي إلا هو ، ولا يميت إلا هو ، ولا يدبر الأمر إلا هو ، وأن جميع السموات السبع ومن فيهن والأرضين السبع ومن فيها كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره.

فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله يشهدون بهذا فاقراً قوله تَعَالَى: (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ

مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرِ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ
اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (يونس: ٣١).

فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا وأنه لم يدخلهم في
التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ، وعرفت أن
التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة. ثم منهم من
يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له ،
أو يدعوا رجلاً صالحاً مثل اللات: أو نبياً مثل عيسى
وعرفت أن رسول الله ، قاتلهم على هذا الشرك
ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده كما قال تعالى: (وَأَنَّ
الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) (الجن: ١٨) وقال تعالى:
(لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا
كَبْسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا
فِي ضَلَالٍ) (الرعد: ١٤).

وإذا تحققت أن رسول الله قاتلهم ليكون الدعاء
كله لله ، والنذر كله لله ، والذبح كله لله ، والاستغاثة كلها
لله ، وجميع أنواع العبادات كلها لله ، وعرفت أن إقرارهم

بتوحيد الربوبية لم يُدخِلهم في الإسلام ، وأن قصدهم
الملائكة أو الأنبياء ، أو الأولياء ، يريدون شفاعتهم ،
والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم ،
عَرَفَتْ حينئذٍ التوحيد الذي دعت إليه الرسل ، وأبى عن
الإقرار به المشركون.

وهذا التوحيد هو معنى قولك: لا إله إلا الله ، فإن
الإله هو الذي يُقصد لأجل هذه الأمور ، سواء ملكًا ، أو
نبيًا ، أو وليًا ، أو شجرةً ، أو قبرًا ، أو جنياً ، لم يريدوا أن
الإله هو الخالق الرازق المدبر ، فإنهم يعلمون أن ذلك لله
وحده.

فأتاهم النبي يدعوهم إلى كلمة التوحيد وهي
(لا إله إلا الله) والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد
لفظها.

الرد على الشبهات من طريقين:

مُجْمَل ، وَمُفْصَّل . أما المِجْمَلُ فعن عائشة قالت:

تَلَا رَسُولُ اللَّهِ هَذِهِ الْآيَةَ: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) (آل عمران: ٧) ،
قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: « فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَى اللَّهُ فَاَحْذَرُوهُمْ ». (رواه البخاري).

فَحَذَرْنَا نَبِيَّنَا مِنْ الَّذِي يَتَّبِعُ الْمُتَشَابِهَ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ مِنْ السَّنَةِ وَصَارَ يُلَبِّسُ بِهِ عَلَى بَاطِلِهِ فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَاهَمَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ وَوَصَفَهُمْ بِقَوْلِهِ: (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ).

وكان سبب تحذير النبي هو الخشية من أن يضلونا عن سبيل الله باتباع هذا المتشابه ، فحذَرْنَا مِنْ سُلُوكِ طَرِيقِهِمْ ، وَحَذَرْنَا مِنْهُمْ .

مثال ذلك: إذا قال لك: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (يونس: ٦٢) أو استدل بالشفاعة أنها حق ، وأن الأنبياء لهم جاه عند الله أو ذكر كلاماً للنبي يستدل به على شيء من باطله ، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره ، فجأوبه بقولك: إن الله عزَّوجلَّ ذكر أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه ، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذَكَرُ أَنْ الْمَشْرِكِينَ يُقِرُّونَ بِالرَّبُوبِيَّةِ ، وَأَنْ كَفَرَهُمْ بِتَعْلُقِهِمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ مَعَ قَوْلِهِمْ: (هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ) (يونس: ١٨) ، وهذا أمر مُحْكَمٌ بَيْنٌ ، لا يقدر أحد أن يغير معناه ، وما ذكرته لي من القرآن أو كلام النبي لا أعرف معناه ، ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض ، وأن كلام النبي الصادق المصدوق لا يخالف كلام الله عزَّوجلَّ .

وأما الجواب المفصل: فإن لهم شبهات كثيرة، منها:
الشبهة الأولى: قولهم: نحن لا نشرك بالله،
 ونشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله
 وحده لا شريك له، وأن محمداً لا يملك لنفسه نفعاً
 ولا ضرراً، ولكننا مذنبون، والصالحون لهم جاه عند الله،
 ونطلب من الله بهم.

الجواب: اعلم أن الذين قاتلهم رسول الله
 واستباح دماءهم ونساءهم مقرون بذلك، ومقرون بأن
 أوثانهم لا تدبر شيئاً، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة، ولم
 يُغْنِهِمْ هذا التوحيد شيئاً.

وقد ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في محكم كتابه: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ
 قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)
 (الأنبياء: ٢٥). وَقَالَ تَعَالَى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا
 لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات: ٥٦). وَقَالَ تَعَالَى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا
 إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (آل عمران: ١٨).

وَقَالَ تَعَالَى: (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) (البقرة: ١٦٣). وَقَالَ تَعَالَى: (فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ) (العنكبوت: ٥٦) إلى غيرها من الآيات الكثيرة الدالة على وجوب توحيد الله عَزَّوَجَلَّ في عبادته ، وأن لا يُعْبَدَ أَحَدٌ سواه.

الشبهة الثانية: قولهم: إن الآيات التي ذكرتها نزلت فيمن يعبد الأصنام ، وهؤلاء الأولياء ليسوا بأصنام.

الجواب: اعلم أن كل من عبد غير الله فقد جعل معبوده وثناً فأبي فرق بين من عبد الأصنام وعبد الأنبياء والأولياء؟! !

فالكفار منهم من يدعو الأصنام لطلب الشفاعة ، ومنهم من يعبد الأولياء ، والدليل على أنهم يدعون الأولياء قوله تَعَالَى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ) (الإسراء: ٥٧) (أي أن المعبودين يبتغون القربة إلى ربهم). وكذلك يعبدون الأنبياء كعبادة النصارى المسيح ابن مريم والدليل قوله تَعَالَى: (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَىٰ ابْنَ

مَرِّمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اُنْتِخِذُونِي وَأُمِّي اِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ ط قَالَ
سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِيْ اَنْ اَقُولَ مَا لَيْسَ لِيْ بِحَقِّ اِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ
فَقَدْ عَلِمْتُهُ تَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِيْ وَلَا اَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ اِنَّكَ اَنْتَ
عَلَّمُ الْغُيُوْبِ (المائدة: ١١٦) ، وكذلك يعبدون الملائكة
كقوله تعالى: (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُوْلُ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِهْوَاۗءِ
اِيَّاكُمْ كَاثُوۡا يَعْبُدُوۡنَ) (سبا: ٤٠).

فهذا تبين تلبيسهم بكون المشركين يعبدون الأصنام
وهم يدعون الأولياء والصالحين من وجهين:

الوجه الأول: أنه لا صحة لتلبيسهم ؛ لأن من أولئك
المشركين من يعبد الأولياء والصالحين.

الوجه الثاني: لو قدرنا أن أولئك المشركين لا يعبدون
إلا الأصنام فلا فرق بينهم وبين المشركين لأن الكل عبد من
لا يغني عنه شيئاً.

وبهذا عرفنا أن الله عزوجل كفر من قصد الأصنام ،
وكفر أيضاً من قصد الصالحين وقاتلهم رسول الله على

هذا الشرك ولم ينفعهم أن كان المعبودون من أولياء الله وأنبيائه.

الشبهة الثالثة: قولهم: الكفار يريدون من

الأصنام أن ينفعوهم أو يضرّوهم ، ونحن لا نريد إلا من الله والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ، ونحن لا نعتقد فيهم ولكن نتقرب بهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ ليكونوا شفعاء.

الجواب: اعلم أن هذا قول الكفار سواءً بسواء حيث

قال تعالى: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ) (الزمر: ٣) ، وقوله تعالى: (هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ) (يونس: ١٨).

الشبهة الرابعة: قولهم: نحن لا نعبد إلا الله ،

وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة.

الجواب: اعلم إن الله فرض عليك إخلاص العبادة

له وهو حقه على الناس ، حيث قال تعالى: (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (الأعراف: ٥٥).

والدعاء عبادة ، وإذا كان عبادة فإن دعاء غير الله شركٌ بالله عزَّوجلَّ والذي يستحق أن يُدعى ويُعبد ويُرجى هو الله وحده لا شريك له .

فإذا علمنا أن الدعاء عبادة ، ودعونا الله ليلاً ونهاراً ، خوفاً وطمعاً ، ثم دعونا في تلك الحاجة نبيناً أو غيره فقد أشركنا في عبادة الله غيره .

قَالَ تَعَالَى: (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ) (الكوثر: ٢) ، فإذا أطعنا الله ونحرننا له ، فهذه عبادة لله ، فإذا نحرننا لمخلوق - نبي ، أو جني أو غيرهما - فقد أشركنا في العبادة غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

والمشركون الذين نزل فيهم القرآن الكريم ، كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات ، وما كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك ، وهم مُقَرَّرُونَ أنهم عبيد لله وتحت قهره ، وأن الله هو الذي يدبر الأمر ، ولكن دعوهم والتجُّؤوا إليهم للجاه والشفاعة وهذا ظاهر جداً .

الشبهة الخامسة: قولهم: أنتم تنكرون شفاعة

الرسول .

الجواب: نحن لا ننكر شفاعة الرسول ولا

نتبرأ منها ، بل هو الشافع المشفع ونرجو شفاعته ،

ولكن الشفاعة كلها لله ، كما قال تعالى: (قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ

جَمِيعًا) (الزمر: ٤٤).

ولا تكون إلا من بعد إذن الله كما قال تعالى: (مَنْ ذَا

الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ) (البقرة: ٢٥٥) ولا يشفع إلا

من بعد أن يأذن الله فيه كما قال تعالى: (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا

لِمَنْ أَرْضَى) (الأنبياء: ٢٨).

والله لا يرضى إلا التوحيد كما قال تعالى: (وَمَنْ يَبْتَغِ

غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ) (آل عمران: ٨٥).

فإذا كانت الشفاعة كلها لله ، ولا تكون إلا من بعد

إذنه ، ولا يشفع النبي ولا غيره في أحد حتى يأذن الله

فيه ، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد ، فاطلب الشفاعة من الله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، فقل: اللهم لا تحرمني شفاعته النبي ،
اللهم شفِّعه فيّ ، وأمثال هذا.

الشبهة السادسة: قولهم: إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

أعطى النبي الشفاعة ، ونحن نطلبها ممن أعطاه الله
إياها.

الجواب: اعلم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أعطى النبي

الشفاعة ونهانا عن هذا فقال: (فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا)
(الجن: ١٨).

واعلم أن الله عَزَّوَجَلَّ أعطى النبي الشفاعة ،
ولكنه لا يشفع إلا بإذن الله ، ولا يشفع إلا لمن ارتضاه
الله ، ومن كان مشركاً فإن الله لا يرتضيه فلا يأذن أن يشفع
له كما قال تعالى: (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى) (الأنبياء:
٢٨).

واعلم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْطَى الشَّفَاعَةَ النَّبِيَّ
وغيره ، فالملائكة يشفعون ، والأفراط (١) يشفعون ،
والأولياء يشفعون. فهل نطلب الشفاعة من هؤلاء؟

فإن كنت تريد من الرسول الشفاعة فقل:
« اللهم شَفِّعْ فِيَّ نَبِيَّكَ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ ». وكيف تريد
شفاعة رسول الله وأنت تخالف أمره وتدعوه
مباشرة ، ودعاء غير الله شرك أكبر مخرج من الملة.

الشبهة السابعة: قولهم: نحن لا نشرك بالله شيئاً
ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك. فالشرك عبادة
الأصنام ونحن لا نعبد الأصنام.

الجواب: اعلم أن عبَاد الأصنام لا يعتقدون أنها
تخلق وترزق وتدبر أمر مَنْ دعاها ، وإن القرآن يكذب مَنْ
قال إنهم كانوا يعتقدون غير ذلك. فإن عبَاد الأصنام هم

(١) فَرَطُ الْوَلَدِ صِغَارُهُ مَا لَمْ يُدْرِكُوا ، وَجَمْعُهُ أَفْرَاطٌ ، وَفِي الدَّعَاءِ لِلطُّفْلِ الْمَيِّتِ:
« اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لَنَا فَرَطًا » أَي أَجْرًا يَتَقَدَّمُنَا حَتَّى نَرِدَّ عَلَيْهِ ، وَفَرَطٌ فَلَانٌ وَوُلْدًا: مَاتُوا
صِغَارًا.

مَنْ قَصَدَ خَشْبَةً ، أَوْ حَجْرًا ، أَوْ بِنِيَّةٍ عَلَى قَبْرِ أَوْ غَيْرِهِ ،
يَدْعُونَ ذَلِكَ وَيَذْبَحُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ يَقْرَبُنَا إِلَى اللَّهِ زَلْفَى
وَيَدْفَعُ اللَّهُ عَنَا بِبِرْكَتِهِ أَوْ يَعْطِينَا.

فَإِنْ كَانَ هَذَا فَعَلَكُمْ عِنْدَ الْأَحْجَارِ وَالْأَبْنِيَةِ الَّتِي عَلَى
الْقُبُورِ وَغَيْرِهَا هُوَ نَفْسُ فَعْلِهِمْ ، فَيَكُونُ فَعَلَكُمْ هُوَ عِبَادَةُ
الْأَصْنَامِ.

وَقَوْلِكُمْ: الشَّرْكَ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ ، هَلْ هَذَا يَعْنِي أَنْ
الشَّرْكَ مَخْصُوصٌ بِهَذَا ، وَأَنْ الْإِعْتِمَادَ عَلَى الصَّالِحِينَ
وَدَعَاءَهُمْ لَا يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ؟ فَهَذَا يَرُدُّهُ مَا ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ
مَنْ كَفَرَ مِنْ تَعَلُّقِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ أَوْ عَيْسَى أَوْ الصَّالِحِينَ.

الشبهة الثامنة:

قَوْلُهُمْ: إِنَّ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنَ لَا يَشْهَدُونَ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَيَكْذِبُونَ الرُّسُولَ ، وَيَنْكُرُونَ الْبَعْثَ ،
وَيَكْذِبُونَ الْقُرْآنَ وَيَجْعَلُونَهُ سِحْرًا ، وَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَنُصَدِّقُ الْقُرْآنَ ، وَنُؤْمِنُ
بِالْبَعْثِ ، وَنُصَلِّيُ وَنُصُومُ ، فَكَيْفَ تَجْعَلُونَنَا مِثْلَ أَوْلَئِكَ؟

الجواب: أجمع العلماء على أن من كفر ببعض ما جاء

به الرسول وكذب به ، فهو كمن كذب بالجميع وكفر

به ، ومن كفر بنبي من الأنبياء فهو كمن كفر بجميع الأنبياء

لقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ

وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ

بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ

سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ حَقًّا) (النساء: ١٥٠ -

(١٥١) ، وقوله سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: (أَفَتُؤْمِنُونَ

بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ

ذَٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ

يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (البقرة:

(١٥).

فمن أقر بالتوحيد وأنكر وجوب الصلاة فهو كافر ،

ومن أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة فإنه

يكون كافراً ، ومن أقر بوجوب ما سبق وجحد وجوب

الصوم فإنه يكون كافراً ، ومن أقر بذلك كله وجحد

وجوب الحج فإنه كافر ، والدليل على ذلك قوله تعالى:
(وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ)
(يعني من كفر بكون الحج واجباً أوجبه الله على عباده)
(فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (آل عمران: ٩٧).

وَمَنْ أَقْرَبَ بِهَذَا كَلَهُ ، وَلَكِنَّهُ كَذَبَ بِالْبَعْثِ فَإِنَّهُ كَافِرٌ
بِالْإِجْمَاعِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثَ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي
لَيُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَنْبُؤُونَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (التغابن: ٧).

فَإِذَا أَقْرَرْتَ بِهَذَا فَاعْلَمْ أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ أَعْظَمُ فَرِيضَةٍ
جَاءَ بِهَا النَّبِيُّ وَهُوَ أَعْظَمُ مِنَ الصَّلَاةِ ، وَالزَّكَاةِ ،
وَالصُّوْمِ ، وَالْحَجِّ ، فَكَيْفَ إِذَا جَحَدَ الْإِنْسَانُ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ
الْأُمُورِ كَفَرَ وَلَوْ عَمِلَ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ؟ وَإِذَا
جَحَدَ التَّوْحِيدَ الَّذِي هُوَ دِينُ الرِّسَالِ كُلِّهِمْ لَا يَكْفُرُ؟ سَبِّحَانَ
اللَّهِ ، مَا أَعْجَبَ هَذَا الْجَهْلَ! فَمَنْكَرَ التَّوْحِيدَ أَشَدَّ كَفْرًا وَأَبْيَنَ
وَأَظْهَرَ.

وَمَا هُمْ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ قَاتِلُوا بَنِي حَنِيفَةَ
وَقَدْ أَسْلَمُوا مَعَ النَّبِيِّ وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ وَيُؤَذِّنُونَ وَيُصَلُّونَ وَهُمْ إِنَّمَا رَفَعُوا رِجَالًا ، وَهُوَ مَسِيلِمَةُ الْكُذَّابِ ، إِلَى مَرْتَبَةِ النَّبِيِّ ، فَكَيْفَ بَمَنْ رَفَعَ مَخْلُوقًا إِلَى مَرْتَبَةِ جِبَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، يَدْعُوهُ وَيَذْبَحُ لَهُ وَيَسْتَعِيثُ بِهِ وَيَعْتَقِدُ فِيهِ النِّفْعَ وَالضَّرَّ ؟ أَفَلَا يَكُونُ أَحَقَّ بِالْكَفْرِ مِمَّنْ رَفَعَ مَخْلُوقًا إِلَى مَنْزِلَةِ مَخْلُوقٍ آخَرَ ؟ !

وَإِذَا كَانَ الْكُفْرُ الْأَوَّلُونَ لَمْ يَكْفُرُوا إِلَّا حِينَ جَمَعُوا جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْكُفْرِ مِنَ الشَّرْكِ وَالتَّكْذِيبِ وَالتَّسْتَكْبَارِ فَمَا مَعْنَى ذِكْرِ أَنْوَاعِ مِنَ الْكُفْرِ فِي (بَابِ حُكْمِ الْمُرْتَدِ) ؟ كُلُّ نَوْعٍ مِنْهَا يُكْفَرُ حَتَّى ذَكَرُوا أَشْيَاءَ يَسِيرَةً عِنْدَ مَنْ فَعَلَهَا مِثْلَ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا بِلِسَانِهِ دُونَ قَلْبِهِ ، أَوْ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا عَلَى وَجْهِ الْمَزَاحِ وَالتَّلْعَبِ ، فَلَوْلَا أَنَّ الْكُفْرَ يَحْصُلُ بِفِعْلِ نَوْعٍ مِنْهُ وَإِنْ كَانَ الْفَاعِلُ مُسْتَقِيمًا فِي جَانِبٍ آخَرَ لَمْ يَكُنْ لَذِكْرِ الْأَنْوَاعِ فَائِدَةٌ .

وَقَدْ حَكَّمَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ بِكُفْرِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ مَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا مَعَ النَّبِيِّ يَصَلُّونَ وَيُزَكُّونَ وَيُحْجُونَ وَيُجَاهِدُونَ وَيُؤَدِّعُونَ ، فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى فِيهِمْ :

(يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا
بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ) (التوبة: ٧٤).

وحكم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِكُفْرِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ قَالُوا
كَلِمَةً ذَكَرُوا أَنَّهُمْ قَالُوهَا عَلَى وَجْهِ الْمَرْحِ ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
فِيهِمْ : (قُلْ أَيْلَ اللَّهِ وَعَائِنَهُ ، وَرَسُولِهِ ، كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ)
لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) (التوبة: ٦٥ - ٦٦).

ومن الدليل على أن الإنسان قد يقول أو يفعل ما هو
كُفْرٌ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ قَوْلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَ إِسْلَامِهِمْ
وَعِلْمِهِمْ وَصَلَاحِهِمْ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : (أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا
كَمَا لَهُمْ ءِالِهَةٌ) (الأعراف: ١٣٨).

وقول أصحاب النبي : « أَجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا
لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ » ، فَقَالَ النَّبِيُّ : \$ سُبْحَانَ اللَّهِ هَذَا كَمَا
قَالَ قَوْمُ مُوسَى : (أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءِالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ
قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) (الأعراف: ١٣٨) ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ
لَتَرْكَبَنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ . (رواه الترمذي ،

وصححه الألباني). وهذا يدل على أن موسى ومحمدًا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قد أنكرا ذلك غاية الإنكار.

الشبهة التاسعة: قولهم: في قول بني إسرائيل

لموسى (أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ) وقول بعض الصحابة للنبي : « اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ » إن الصحابة وبني إسرائيل لم يكفروا.

الجواب: أن الصحابة وبني إسرائيل لم يفعلوا ذلك

حين لقوا من الرسولين الكريمين إنكار ذلك ، ولا خلاف أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا ، وكذلك لا خلاف في أن الذين نهاهم النبي لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا.

الشبهة العاشرة: قولهم: إن الناس يوم القيامة

يستغيثون بآدم ، ثم بنوح ، ثم إبراهيم ، ثم بموسى ، ثم بعبسى ، فكلهم يعتذر حتى ينتهوا إلى رسول الله ، فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركًا.

الجواب: الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا

ننكرها ، كما قال الله تعالى في قصة موسى : (فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي
مِنْ شَيْعَانِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ) (القصص : ١٥).

والناس لم يستغيثوا بهؤلاء الأنبياء الكرام ليزيلوا
عنهم الشدة ، ولكنهم يستشفعون بهم عند الله عَزَّوَجَلَّ ليزيل
هذه الشدة ، وهناك فرق بين من يستغيث بالمخلوق ليكشف
عنه الضرر والسوء ، ومن يستشفع بالمخلوق إلى الله ليزيل
الله عنه ذلك ، وهذا أمر جائز كما أن الصحابة
يسألون النبي في حياته أن يدعو الله لهم .

وأما بعد موته فحاشا وكلا أنهم سألوه ذلك عند
قبره ، بل أنكر السلف الصالح على مَنْ قصد دعاء الله عند
قبره فكيف بدعائه نفسه؟

ولا بأس أن تأتي لرجل صالح حي تعرفه وتعرف
صلاحه فتسأله أن يدعو الله لك ، وهذا حق إلا أنه لا ينبغي
للإنسان أن يتخذ ذلك ديدنا له كلما رأى رجلاً صالحاً قال:
ادع الله لي ، فإن هذا ليس من عادة السلف ، وفيه

اتكال على دعاء الغير ، ومن المعلوم أن الإنسان إذا دعا ربه بنفسه كان خيرًا له ؛ لأنه يفعل عبادةً يتقرب بها إلى الله عزَّوَجَلَّ.

الشبهة الحادية عشرة: أحاديث لا تثبت ، وبالتالي لا يصح الاستدلال بها:

١- ما رُوِيَ عن عتبة بن غزوان عن نبي الله أنه قال: « إذا ضل أحدكم شيئاً أو أراد عوناً وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل يا عباد الله أعينوني فإن لله عبادةً لا نراهم ».

٢- ما رُوِيَ عن عبد الله ابن مسعود أنه قال: قال رسول الله : « إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: « يا عباد الله احبسوا ، يا عباد الله احبسوا ؛ فإن لله حاصرًا في الأرض سيحبسه ».

٣- ما رُوِيَ عن ابن عباس أن رسول الله قال: « إن لله ملائكة في الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر فإذا أصاب أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد: « أعينوا عباد الله ».

قولهم: إن في قصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لما أُلْقِيَ في النار اعترض له جبريل في الهواء فقال: «ألك حاجة؟»، فقال إبراهيم: «أما إليك فلا»، دليل على أنه لو كانت الاستغاثة بجبريل شركاً لم يعرضها على إبراهيم؟

٤- ما رُوِيَ عن كعب الأحمبار أن إبراهيم قال حين أوثقوه ليلقوه في النار: «لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين، لك الحمد ولك الملك لا شريك لك» ثم رموا به في المنجنيق إلى النار فاستقبله جبريل، فقال: «يا إبراهيم ألك حاجة؟»، قال: «أما إليك فلا»، قال جبريل: «فسأل ربك»، فقال إبراهيم: «حسبي من سؤالي علمه بحالي».

وكذلك لا يصح ما ذُكِرَ في تفسير (قَالُوا حَرِّقُوهُ وَأَنْصُرُوا إِلَهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) (الأنبياء: ٦٨) أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «حسبي الله ونعم الوكيل» حين قال له خازن المياه لما أراد النمرود إلقاءه في النار: «إن أردت أخذت النار»، وأتاه خازن الرياح فقال له: «إن

شَتَّ طيرتُ النارُ في الهواءِ ، فقال إبراهيمُ : « لا حاجة لي إليكم ، حسبي الله ونعم الوكيل » .

والذي في البخاري عن ابن عباسٍ قال : « كَانَ آخِرَ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ : « حَسْبِيَ اللَّهُ ، وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » .

الفصل الثاني

الرد على من زعم رؤيته النبي يقظة بعد موته!!

يزعم البعض أن الرسول حي في قبره كحياتنا ،
ولو كان الأمر كذلك لما انصرف الصحابة عن
الصلاة وراءه إلى الصلاة وراء غيره ممن لا يدانيه أبدًا
في منزلته وفضله .

إن رؤية النبي يقظة غير ممكنة والدليل على ذلك:
أن أمورًا عظيمة وقعت لأصحاب رسول الله وهم
أفضل الأمة بعد نبيها كانوا في حاجة ماسة إلى وجوده بين
أظهرهم ولم يظهر لهم ، منها ما يلي:

١- أنه وقع خلاف بين الصحابة بعد وفاة النبي
بسبب الخلافة ، فكيف لم يظهر لأصحابه ويفصل
النزاع بينهم .

٢- اختلاف أبي بكر الصديق مع فاطمة على ميراث أبيها فاحتجت فاطمة عليه بأنه إذا مات هو إنما يرثه أبناؤه فلماذا يمنعها من ميراث أبيها؟ فأجابها أبو بكر بأن النبي قال: « لَأَنْ نُورِثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةً ، إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ فِي هَذَا الْمَالِ » (رواه البخاري).

٣- الخلاف الذي وقع بين طلحة والزبير وعائشة من جهة وعلي بن أبي طالب وأصحابه - رضي الله عنهم أجمعين - من جهة أخرى ، والذي أدى إلى وقوع معركة الجمل ، فلماذا لم يظهر لهم النبي ؟

٤- الخلاف الذي وقع بين علي بن أبي طالب مع الخوارج ، وقد سفكت فيه دماء كثيرة ، ولو ظهر الرسول لرئيس الخوارج وأمره بطاعة إمامه لحقن تلك الدماء.

٥- النزاع الذي وقع بين علي ومعاوية والذي أدى إلى وقوع حرب صفين حيث قُتل خلق كثير جداً منهم

عمار بن ياسر . فلماذا لم يظهر النبي حتى تجتمع كلمة المسلمين وتحقن دمائهم.

أقوال بعض أهل العلم في هذه المسألة:

١- ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني / أن ابن أبي جمرة نقل عن جماعة من المتصوفة أنهم رأوا النبي في المنام ثم رأوه بعد ذلك في اليقظة ، وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوفين فأرشدتهم إلى طريق تفرجها فجاء الأمر كذلك .»

ثم تعقب الحافظ ذلك بقوله: « وهذا مُشْكِلٌ جِدًّا ، وَلَوْ حُجِّلَ عَلَى ظَاهِرِهِ لَكَانَ هُوَ لَاءِ صَحَابَةٍ ، وَلَأَمَّكَنَ بَقَاءُ الصُّحْبَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَيَعَكِّرُ عَلَيْهِ أَنَّ جَمْعًا جَمًّا رَأَوْهُ فِي الْمَنَامِ ثُمَّ لَمْ يَذْكُرْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ أَنَّهُ رَأَاهُ فِي الْيَقَظَةِ ، وَخَبَرَ الصَّادِقِ لَا يَتَخَلَّفُ ، وَقَدْ اشْتَدَّ انْكَارُ الْقُرْطُبِيِّ عَلَى مَنْ قَالَ مَنْ رَأَاهُ فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى حَقِيقَتَهُ ثُمَّ يَرَاهَا كَذَلِكَ فِي الْيَقَظَةِ .»

٢- قال الحافظ السخاوي / في رؤية النبي في اليقظة بعد موته: « لم يصل إلينا ذلك - أي ادعاء وقوعها -

عن أحد من الصحابة ولا عمن بعدهم وقد اشتد حزن فاطمة عليه حتى ماتت كمدًا بعده بستة أشهر على الصحيح وبيتها مجاور لضريحه الشريف ولم تنقل عنها رؤيته في المدة التي تأخرتها عنه».

٣- وقال ملا علي قاري / : « إنه - أي ما دعاه المتصوفة من رؤية النبي في اليقظة بعد موته - لو كان له حقيقة لكان يجب العمل بما سمعوه منه من أمر ونهي وإثبات ونفي ، ومن المعلوم أنه لا يجوز ذلك إجماعًا كما لا يجوز بما يقع حال المنام ، ولو كان الرائي من أكابر الأنام».

الرد على الشبهات:

الشبهة الأولى: أكثر ما يستدل به هؤلاء: الحكايات ، والادعاءات المنقولة عن أرباب الأحوال الصوفية ، وهذه الشبهة لا تستحق الرد عليها ؛ فدين الله عزَّوَجَلَّ لا يُؤخَذ من أمثال هذه الحكايات ، وإن صحت فإن من تُروى عنهم غير معصومين.

الشبهة الثانية: قد يقول قائل إنه قد ورد أن

النبى قال: « أنا في قبري حي طري ، من سلم علي سلمت عليه ». وأنه يستفاد منه أنه حي مثل حياتنا ، فإذا توسلنا به سمعنا واستجاب لنا ، فيحصل مقصودنا ، وتتحقق رغبتنا ، وأنه لا فرق في ذلك بين حاله في حياته ، وبين حاله بعد وفاته.

وهذا مردود من وجهين:

الأول: الحديث المذكور لا أصل له بهذا اللفظ ، ولكن

معناه قد ورد في عدة أحاديث صحيحة ، منها ما رواه أبو داود عن أوس بن أوس قال: قال النبي: « إنَّ أَفْضَلَ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ ، فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ فِيهِ مِنَ الصَّلَاةِ ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ ».

فقالوا: « يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ

وَقَدْ أَرَمْتَ ؟ » ، قَالَ : « يَقُولُونَ : بَلِيَّتَ » ، قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ »

(رواه أبو داود وصححه الألباني).

ومنها قوله : « الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ » (رواه أبو يعلى ، والبزار ، وصححه الألباني).
 وقوله : « مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَلَى مُوسَى قَائِمًا يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ » (رواه مسلم). وقوله : « إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ ». (رواه النسائي وصححه الألباني).

الوجه الثاني: أن حياته بعد وفاته مخالفة لحياته قبل الوفاة ، ذلك أن الحياة البرزخية غيب من الغيوب ، ولا يدري كيفيتها إلا الله عَزَّوَجَلَّ ، ولكن من الثابت والمعلوم أنها تختلف عن الحياة الدنيوية ، ولا تخضع لقوانينها ، فالإنسان في الدنيا يأكل ويشرب ، ويتنفس ويتزوج ، ويتحرك ويتبرز ، ويمرض ويتكلم ، ولا أحد يستطيع أن يثبت أن أحداً بعد الموت حتى الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - وفي مقدمتهم نبينا محمد - تعرض له هذه الأمور بعد موته.

ومما يؤكد هذا أن الصحابة اختلفوا في مسائل بعد وفاة النبي ، ولم يخطر في بال أحد منهم الذهاب إليه في قبره ، ومشاورته في ذلك ، وسؤاله عن

الصواب فيها. لماذا؟ إن الأمر واضح جدًا ، وهو أنهم كلهم يعلمون أنه انقطع عن الحياة الدنيا ، ولم تعد تنطبق عليه أحوالها ونواميسها.

فرسول الله بعد موته حَيٌّ أَكْمَلَ حَيَاةَ يَحْيَاهَا
إنسان في البرزخ ، ولكنها حياة لا تشبه حياة الدنيا ، ولعل مما يشير إلى ذلك قوله : « مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أُرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَام » (رواه أبو داود وحسنه الألباني) ، وعلى كل حال فإن حقيقتها لا يديرها إلا الله ؛ ولذلك فلا يجوز قياس الحياة البرزخية أو الحياة الآخروية على الحياة الدنيوية ، كما لا يجوز أن تعطى واحدة منهما أحكام الأخرى ، بل لكل منها شكل خاص وحكم معين ، ولا تتشابه إلا في الاسم ، أما الحقيقة فلا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

الشبهة الثالثة: منهم من يستدل بحديث أبي

هريرة الذي رواه البخاري في صحيحه أن النبي قال: « مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَسِيرَانِي فِي الْيَقَظَةِ ، وَلَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي . »

الجواب:

قال الإمام النووي /: « فِيهِ أَقْوَالٌ: أَحَدُهَا: الْمُرَادُ بِهِ أَهْلُ عَصْرِهِ وَمَعْنَاهُ أَنَّ مَنْ رَأَاهُ فِي النَّوْمِ وَلَمْ يَكُنْ هَاجِرَ يَوْفَقُهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْهَجْرَةِ وَرُؤْيِيَّتُهُ فِي الْيَقَظَةِ عَيَانًا.

وَالثَّانِي: مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَرَى تَصْدِيقَ تِلْكَ الرُّؤْيَا فِي الْيَقَظَةِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ لِأَنَّهُ يَرَاهُ فِي الْآخِرَةِ جَمِيعُ أُمَّتِهِ مَنْ رَأَاهُ فِي الدُّنْيَا وَمَنْ لَمْ يَرَهُ.

وَالثَّلَاثُ: يَرَاهُ فِي الْآخِرَةِ رُؤْيَةً خَاصَّتِهِ فِي الْقُرْبِ مِنْهُ وَحُصُولِ شَفَاعَتِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ « اهـ.

إن هذه العقيدة مخالفة لإجماع أهل السنة والجماعة وهي خاصة بأهل البدعة ، قال ابن حزم: « واتفقوا أن محمدًا وجميع أصحابه لا يرجعون إلى الدنيا إلا حين يبعثون مع جميع الناس ».

الشبهة الرابعة: الاحتجاج على حياة الأنبياء بأن

النبى اجتمع بهم ليلة الإسراء في بيت المقدس. وما دام

هذا ممكناً في حق النبي معهم ، فيمكن أن يكون جائزاً في حق أولياء أمته معه ، فيرونه في اليقظة.

الجواب:

أولاً: ليس النزاع في حياة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في قبورهم ، ولا في اجتماع النبي بهم ليلة الإسراء ولا صلاته بهم إماماً ، فإن ذلك كله ثابت عن النبي ، فيجب على جميع المؤمنين التصديق به.

ثانياً: حياة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في قبورهم حياةٌ برزخية لا نعلم كيف هي ، وحكمها كحكم غيرها من المغيبات ، نؤمن بها ولا نشتغل بكيفيتها ، ولكننا نجزم بأنها مخالفة لحياتنا الدنيا.

ثالثاً: أن الذي أخبرنا بأنه اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء هو نبينا الصادق المصدوق الذي يجب على كل مؤمن أن يصدقه في كل ما أخبر به من المغيبات دقيقها وجليلها ، ولذا آمننا بما أخبرنا به واعتقدناه عقيدة لا يتطرق إليها شك إن شاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أما مَنْ جاءنا بخبر وقوع رؤية النبي في اليقظة
فمجموعة من الدراويش خالفت الكتاب والسنة والإجماع
والمعقول ، فلا يجوز أن نصدقهم في دعواهم تلك .

بل وجب على كل موحد أن يردّها بما استطاع لأنه
باب يؤدي فتحه إلى ضلال عظيم وخراب للدين والعقل
ويفتح باب التشريع من جديد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .
تَنْبِيْهُ :

روى البخاري أنّ أبا هريرة قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ
يَقُولُ: « مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَسَيْرَانِي فِي الْيَقَظَةِ وَلَا
يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي » ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: قَالَ ابْنُ سِيرِينَ:
« إِذَا رَأَاهُ فِي صُورَتِهِ » .

وذكر الحافظ ابن حجر في فتح الباري عن حماد بن
زيد عن أيوب ، قَالَ: « كَانَ مُحَمَّدٌ - يَعْنِي بَن سِيرِينَ إِذَا
قَصَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ، قَالَ: « صِفْ لِي الَّذِي
رَأَيْتَهُ » ، فَإِنْ وَصَفَ لَهُ صِفَةً لَا يَعْرِفُهَا قَالَ: « لَمْ تَرَهُ » ، ثم
قال الحافظ: « وَسَنَدُهُ صَحِيحٌ » .

وأشار إلى ما رواه الحاكم عن عاصم بن كليب عن
أبيه قال: قلت لابن عباس: « رأيت النبي في المنام »
، قال: « صفه لي » ، قال: « ذكرت الحسن بن علي فشبهته به
» ، قال: « قد رأيته » ثم قال الحافظ: « وسنده جيد ».

ثم أشار الحافظ إلى ضعف حديث: « من رآني في
المنام فقد رآني فإني أرى في كل صورة ».

الفصل الثالث

الرد على من زعم أن الأنبياء والأولياء يتصرفون في الكون

بعض الأدلة التي تثبت أن الأنبياء
والأولياء لا يتصرفون في الكون؛

١- لما اشتدت أذية المشركين للمسلمين بمكة

واستفحل شرهم وتطاوهم حتى على رسول الله رفع
صوته ثم دعا عليهم: \$ اللَّهُمَّ عَلَيكَ بِقُرَيْشٍ ... اللَّهُمَّ

عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ ، وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةَ بْنِ
رَبِيعَةَ ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ ، وَعُقْبَةَ بْنِ
أَبِي مُعَيْطٍ » (رواه البخاري ومسلم). فالرسول دعا

الله عَزَّوَجَلَّ ولا يخفى على عاقل أنه لو كان يتصرف في
الكون لاكتفى بقوله لهم: موتوا فيموتون.

٢- عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: « لَمَّا كَانَ يَوْمٌ

بَدَرَ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ ،

وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا ، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ
الْقِبْلَةَ ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ : « اللَّهُمَّ أَنْجِزْ
لِي مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكُ
هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ » ، فَمَا
زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ ، مَاذَا يَدِيهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ
عَنْ مَنْكَبِيهِ « (رواه مسلم). وهذا نص آخر صريح في أنه
كان أمره غاية في العبودية والخضوع والتذلل لربه.

٣- بل ثبت بالدليل أن الله عزَّوجلَّ لم يكن يحقق كل ما

يدعوه به فعن سعد بن أبي وقاص قال: قال
رسول الله : « سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا ، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ
وَمَنْعَنِي وَاحِدَةً ، سَأَلْتُ رَبِّي: أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ
فَأَعْطَانِيهَا ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ
فَأَعْطَانِيهَا ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُجْعَلَ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنْعَنِيهَا »
(رواه مسلم).

(السنة: القحط ، والمقصود به هنا القحط الذي

يعمهم ، فإن وقع قحط فيكون في ناحية يسيرة بالنسبة إلى
باقي بلاد الإسلام ، ويوضح ذلك رواية أخرى لمسلم).

٤- قال رسول الله : « يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - أَوْ
كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ،
يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ،
وَيَا صَفِيَّةَ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ،
وَيَا فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي
عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا » (رواه البخاري ومسلم).

فهذا رسول الله يصرح بأنه لا يُغْنِي عن أحد من
الله شيئاً ، ولا حتى ابنته فاطمة . وإذا كان النبي
لا يملك شيئاً لفلذة كبده فاطمة وهو حي ، فهل
يملكه لغيرها وهو ميت؟!!

٥- قَالَ تَعَالَى: (قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا)
(الجن: ٢١)

٦- قَالَ تَعَالَى: (وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا
مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ
فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ٩١) أَوْ تَسْقُطَ السَّمَاءُ كَمَا
زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ٩٢) أَوْ

يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ
لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ. قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ
كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (الإسراء: ٩٠-٩٣).

٧- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وَلَا
أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي
مَلَكٌ) (هود: ٣١).

بعض الأدلة التي تثبت بقاء الأجساد في القبور :

١- عن ابن عمر عن النبي قال: « إِذَا
مَاتَ أَحَدُكُمْ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ ، غُدْوَةً وَعَشِيًّا ، إِمَّا
النَّارُ وَإِمَّا الْجَنَّةُ ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى تُبْعَثَ إِلَيْهِ . »
(رواه البخاري).

٢- عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ :
« إِنَّ أَفْضَلَ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ ، وَفِيهِ
النَّفْخَةُ ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ ، فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ فِيهِ مِنَ الصَّلَاةِ ،
فَإِنَّ صَلَاتِكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ . »

فَقَالُوا : « يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ
وَقَدْ أَرِمْتَ ؟ » ، قَالَ : « يَقُولُونَ : بَلِيَّتَ » ، قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ
- عَزَّ وَجَلَّ - حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ »
(رواه أبو داود ، وصححه الألباني). فهذا الحديث يدل على
أن أجساد الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لا تفارق قبورهم.

٣- قال النبي : « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،
وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ »
(رواه مسلم).

**بعض الأدلة التي تثبت أن أرواح الشهداء
والصالحين تتنعم في الجنة وتتمنى الرجوع
إلى الدنيا لفعل الخيرات ولكن تمنع من
ذلك:**

١- عَنْ جَابِرٍ قَالَ: لَقِينِي رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ
لِي: « يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟ » قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ
اسْتَشْهَدَ أَبِي ، وَتَرَكَ عِيَالًا وَدِينًا ، قَالَ: « أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا
لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ؟ » قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: « مَا كَلَّمَ
اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ

كِفَاحًا. فَقَالَ: « يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَنِّي أُعْطِكَ. قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِيَنِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً. قَالَ الرَّبُّ - عَزَّ وَجَلَّ - : « إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ » (رواه الترمذي ، وحسنه الألباني).

(كِفَاحًا) مُوَاجِهًا عِيَانًا ، أَي مُوَاجِهَةً لَيْسَ بَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَلَا رَسُولٌ. أَي: كَلَّمَ أَبَاكَ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وهو حديث صريح في منع القول بوقوع الرجعة فضلًا عن أن تكون عقيدة إسلامية يجب اعتقادها. ويستفاد منه أيضًا أن جابرًا لم يكن يعلم عن النعيم الذي كان يتنعم به والده .

٢- عن ابن مسعود أن أصحاب النبي

سألوه عن هذه الآية: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) (آل عمران: ١٦٩). فقال : « أَرْوَاهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرَ ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ اِطَّلَاعَةً ، فَقَالَ:

\$ هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ ».

قَالُوا: « أَيِّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ
حَيْثُ شِئْنَا » ، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَلَمَّا رَأَوْا
أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا ، قَالُوا: يَا رَبِّ ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ
أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى ،
فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرْكُوا » . (رواه مسلم).

يستفاد من هذا الحديث:

أ- أن قول الرسول : « أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ »

يدل على أنها ليست في الأجساد المدفونة في الأرض.

ب- أنهم سألوا ربهم أن ترد أرواحهم في أجسادهم ،

وهذا صريح في أنها قد فارقتها بالموت.

ج - أنهم تمنوا الرجوع إلى الدنيا ليقاتلوا في سبيل الله

لما رأوا من عظيم ثواب الشهادة ، فمنعوا من ذلك ، فقد

انقطع التكليف وانقطع العمل وما بقي إلا الجزاء ، فإذا لم

يملكوا هم لأنفسهم نفعاً ولا حياة ولا تصرفاً ، مع كرامتهم

عند ربهم ووجاهتهم عنده ، فكيف يملكون لغيرهم من

الخلق جلب منفعة أو دفع مضرة؟! فكيف يقال أن الأنبياء
والصالحين يخرجون من قبورهم بأجسادهم لإنقاذ من
يستغيث بهم؟! !

هل الأموات يسمعون؟

اختلف العلماء في سماع الأموات كلام الأحياء: فمنهم
مَنْ أثبتته ، ومنهم مَنْ نفاه ، ولعل الراجح في هذه المسألة هو
أن الأصل في الأموات أنهم لا يسمعون نداء من ناداهم من
الناس ، وَيُسْتَشْنَى من هذا الأصل ما ثبت بدليل صحيح ،
كسماعهم لقرع النعال بعد وضع الميت في قبره ، وكسماع
قتلى بدر من المشركين كلام الرسول حيث إن الله
أسمعهم كلامه عقب غزوة بدر ، وكصلاته
بالأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ليلة الإسراء ، وحديثه مع الأنبياء
عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في السماوات حينما عرج به إليها.

ومن أوضح الأدلة على عدم سماع الرسول
وغيره من الأموات كلام الأحياء قول الرسول : « إِنَّ
لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي
السَّلَامَ ». (رواه النسائي وصححه الألباني).

ووجه الاستدلال به أنه صريح في أن النبي لا يسمع سلام المسلّمين عليه ، إذ لو كان يسمعه بنفسه ، لما كان بحاجة إلى من يبلغه إليه .

وإذا كان الأمر كذلك ، فبالأولى أنه لا يسمع غير السلام من الكلام ، وإذا كان كذلك فلأن لا يسمع السلام غيره من الموتى أولى وأحرى .

والأموات - وإن سمعوا كلام الأحياء - لا يستجيبون دعاء من دعاهم ، ولا يتكلمون مع الأحياء من البشر ولو كانوا أنبياء ، بل انقطع عملهم بموتهم ؛ لقول الله تعالى: (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾) إن تدعوهم لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) (فاطر: ١٣ - ١٤) ، وقول الرسول : « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية ، وعلم ينتفع به ، وولد صالح يدعو له » (رواه الترمذي وصححه الألباني).

كشف بعض شبهات من زعم أن الأنبياء والأولياء يتصرفون في الكون؛ الشبهة الأولى؛

قد يستدل البعض بمعجزات المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وهذا الاستدلال باطل لأن إحياء الموتى - بإذن الله - من خصوصيات المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وليس لغيره من البشر لا من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ولا غيرهم ، ومما يؤيد هذه الخصوصية دعاء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: (رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى) (البقرة: ٢٦٠). فإنه عَلَيْهِ السَّلَامُ لو كان من شأنه إحياء الموتى كما دعا بمثل هذا الدعاء ، وإذا انتفى كَوْنُ إحياء الموتى من معجزات نبي آخر غير المسيح فانتفاؤه عن دون الأنبياء من الأولياء والصالحين من باب أولى.

الشبهة الثانية؛

قد يستدل البعض أيضًا بقول الله تعالى: (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) (المؤمنون: ١٤).

والجواب: أننا نثبت للمخلوق خلقاً ، لكنه ليس كخلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . فَخَلَقَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِجَادٌ مِنَ الْعَدَمِ . وَخَلَقَ الْمَخْلُوقَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالتَّغْيِيرِ وَالتَّحْوِيلِ وَالتَّصْرَفِ فِي شَيْءٍ خَلَقَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

ومن ذلك ما جاء في (الصحيحين) عن النبي أنه يقال للمصورين يوم القيامة: « أَخْيُوا مَا خَلَقْتُمْ » . ومعلوم أن المصوّر لم يوجد شيئاً من العدم إنما حوّل الطين ، أو الحجر إلى صورة إنسان أو طير - بدون روح - ، وحوّل بالتلوين الرقعة البيضاء إلى ملونة ، والطين والحجر والمواد والورق كلهم من خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

الشبهة الثالثة:

رُوي عن النبي أنه قال: « حياتي خيرٌ لكم تُحَدِّثُونَ وَيُحَدِّثُ لَكُمْ ، ووفاتي خيرٌ لكم تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ ، فما رأيتُ من خير حمدتُ اللهَ عليه ، وما رأيتُ من شرٍّ استغفرتُ اللهَ لكم » .

يستدل الصوفية بهذا الحديث على سماع الأموات وعلمهم بحال الأحياء بعد وفاتهم ، من أجل ترويح

عقائدهم الفاسدة في جواز الطلب والاستمداد من القبور
ومن يدفن فيها من الصالحين والأولياء.
واستدلوا لهم هذا باطل عقلاً ونقلاً.

فالحديث ضعيف. وقد ورد في الأحاديث الصحيحة
ما يُبَيِّنُ أَنَّ النَّبِيَّ لَا يَعْلَمُ مِنْ أَعْمَالِ أُمَّتِهِ شَيْئًا بَعْدَ وَفَاتِهِ.
فهذا الحديث الضعيف فيه لفظة (تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ) ،
وهي تخالف الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن عائشة
قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ ، وَهُوَ بَيْنَ
ظَهْرَانِي أَصْحَابِهِ: « إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ
مِنْكُمْ ، فَوَاللَّهِ لَيُقْتَتَعَنَّ دُونِي رِجَالٌ ، فَلَأَقُولَنَّ: أَيُّ رَبِّ
مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي ، فَيَقُولُ: « إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ ،
مَا زَالُوا يَرْجِعُونَ عَلَيَّ أَعْقَابِهِمْ ».

فإذا كانت أعمال أُمَّته تُعرض عليه - كما في الحديث
الضعيف الذي يستدلون به - فكيف لا يدري ما أحدثوا
بعده؟ فهذا يدلُّ على عدم علم النَّبِيِّ بما يحدث في أُمَّته
من بعده ، وهذا يدلُّ على بطلان الحديث المتقدم.

الفصل الرابع

الرد على من زعم جواز التوسل بالمخلوقين في الدعاء وطلب الشفاعة منهم بعد وفاتهم

التوسل المشروع:

١ - التوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ باسم من أسمائه الحسنى ،
أو صفة من صفاته العليا:

كأن يقول المسلم في دعائه: « اللهم إني أسألك بأنك
أنت الرحمن الرحيم اللطيف الخبير أن تعافيني » ، أو يقول:
« اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن
ترحمني وتغفر لي » ، ومثله قول القائل: « اللهم إني أسألك
بحبك لمحمد » ؛ فإن الحب من صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . قَالَ
تَعَالَى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ
فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الأعراف: ١٨٠).

٢- التوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالإيمان والأعمال الصالحة التي قام بها المتوسل: كأن يقول المسلم: « اللهم بإيماني بك ومحبتي لك واتباعي لرسولك اغفر لي ... » ، أو يقول: « اللهم إني أسألك بحبي لمحمد وإيماني به أن تفرج عني » ، ومنه أن يذكر الداعي عملاً صالحاً ذا بال ، فيه خوفه من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَتَقْوَاهُ إِيَّاهُ ، ثم يتوسل به إلى ربه في دعائه.

ويدل على مشروعية هذا النوع من التوسل قوله تَعَالَى: (الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامِنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (آل عمران: ١٦) ، وكذلك حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فسدت عليهم باب الغار ، فلم يستطيعوا الخروج ، فتوسلوا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بصالح أعمالهم ، ففرج الله عنهم فخرجوا يمشون (رواه البخاري ومسلم).

٣- التوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بدعاء الرجل الصالح الحي: كأن يقع المسلم في ضيق شديد أو تحل به مصيبة كبيرة

ويعلم من نفسه التفريط في جنب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، فيحب أن يأخذ بسبب قوي إلى الله عَزَّوَجَلَّ ، فيذهب إلى رجل يعتقد فيه الصلاح والتقوى ، أو الفضل والعلم بالكتاب والسنة ، فيطلب منه أن يدعو له ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ليفرج عنه كربته ويزيل عنه همه.

فقد كان الصحابة إذا أجدبوا طلبوا من رسول الله أن يدعو الله لهم ، ولما توفي صاروا يطلبون من عمه العباس فيدعو لهم. (رواه البخاري).

٤ - التوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بتوحيده: كما توسل يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ تَعَالَى: (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) (الأنبياء: ٨٧).

٥ - التوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بإظهار الضعف والحاجة والافتقار إلى الله: كما فعل أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ تَعَالَى: (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) (الأنبياء: ٨٣).

٦ - التوسل إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالاعتراف بالذنب: كما فعل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ تَعَالَى: (قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (القصص: ١٦).

التوسل غير المشروع له ثلاث مراتب:

١- أن يدعو غير الله ويستغيث به ، أو يطلب منه المدد ، وهو ميت أو غائب ، سواء كان من الأنبياء ، أم الصالحين ، أم الملائكة ، أم الجن ، أم غيرهم كأن يقول: « يا سيدي فلان ، اغثنني ، أو اقض حاجتي ، أو اشف مريضى » ونحو هذا ، فهذا شرك أكبر مُخْرِجٌ من الملة ، وإن سماه صاحبه توسلاً ، فهو توسلٌ شركيٌّ من جنس توسل المشركين بعبادة غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، القائلين (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) (الزمر: ٣).

٢- أن يقول للميت والغائب: « ادعُ الله لي أو اشفع لي في كذا » ، فهذا لا خلاف بين السلف أنه غير جائز ، وأنه من البدع التي لم يَقُلْ بها أحد من علماء الأمة وهو من ذرائع

الشرك ، فهو من الشرك الأصغر ، والفرق بينه وبين الذي قبله أن الأول دعاء غير الله ، والثاني مخاطبة الميت بما لم يرد في الكتاب والسنة ، ولكنه لم يدعه ، ولم يسأله قضاء الحاجات وتفريج الكربات ؛ فلم يصرف له العبادة.

ومن العلماء من ذهب إلى أن طلب الدعاء من الميت شرك أكبر ، وذهب بعض أهل العلم إلى التفرقة بين ما إذا كان طلب الدعاء بجوار قبر الميت أو على البعد منه. فقالوا إن طلب الدعاء من الميت ومخاطبته على البعد شرك أكبر ، أما الطلب منه حال القرب وكونه بجوار القبر فقالوا إن هذه وسيلة مفضية إلى الشرك بالله وإلى دعاء الأموات من دون الله سبحانه وتعالى.

٣- أن يقول في دعائه لله عزَّجَلَّ: « أسألك يا رب بفلان » ، يقصد بذاته أو بحقه أو بجاهه ، ونحو ذلك ، وليس هذا مشهوراً عن الصحابة بل عدلوا عنه إلى التوسل بدعاء العباس ، وتركهم لهذا النوع - مع وجود المقتضي له وانتفاء الموانع منه ، واستحضارهم له - يدل على أنهم تركوه تعبدًا لله ففعله بدعة ، ولا يصح عن

أحد من الصحابة خلافه. وهذا النوع الأخير فيه خلاف بين أهل العلم لكن الصحيح النهي عنه.

وقد اعتاد كثير من المسلمين منذ قرون طويلة أن يقولوا في دعائهم مثلاً: « اللهم بحق نبيك أو بجاهه أو بقدره عندك عافني واعف عني » و« اللهم إني أسألك بحق البيت الحرام أن تغفر لي » و« اللهم بجاه الأولياء والصالحين ، ومثل فلان وفلان ». ويسمون هذا توسلاً ، ويدعون أنه سائغ ومشروع ، وأنه قد ورد فيه بعض الآيات والأحاديث التي تقره وتشرعه ، بل تأمر به وتحض عليه.

وبعضهم غلا في إباحة هذا حتى أجاز التوسل إلى الله عزَّوَجَلَّ ببعض مخلوقاته التي لم تبلغ من المكانة ما يؤهلها لرفعة الشأن ، كقبور الأولياء ، والحديد المبني على أضرحتهم ، والتراب والحجارة والشجر القريبة منها ، زاعمين أن ما جاور العظيم فهو عظيم ، وأن إكرام الله لساكن القبر يتعدى إلى القبر نفسه حتى يصح أن يكون وسيلة إلى الله عزَّوَجَلَّ.

وفي قضية التوسل التي نحن بصددتها الحق مع الذين
حظروا التوسل بمخلوق ، وليس لمجيزيه دليلاً صحيحاً
يُعتدُّ به ، ونحن نطالبهم بأن يأتونا بنص صحيح صريح من
الكتاب أو السنة فيه التوسل بمخلوق ، وهيهات أن يجدوا
شيئاً يؤيد ما يذهبون إليه ، أو يسند ما يدعونه ، اللهم إلا
شُبُهًا واحتمالات.

ومن الغريب حقاً أنك ترى هؤلاء يُعرضون عن أنواع
التوسل المشروعة السابقة ، فلا يكادون يستعلمون شيئاً
منها في دعائهم أو تعليمهم الناس مع ثبوتها في الكتاب
والسنة وإجماع الأمة عليها ، وتراهم بدلاً من ذلك يعمدون
إلى أدعية اخترعوها ، وتوسلات ابتدعوها لم يشرعها الله
عَزَّوَجَلَّ ، ولم يستعملها رسوله ، ولم يُنقل عن سلف
هذه الأمة من أصحاب القرون الثلاثة الفاضلة ، وأقل ما
يقال فيها: إنها مختلف فيها ، فما أجدرهم بقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى:
(أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ) (البقرة:
٦١).

دفع توهمه:

حينما ننفي التوسل بجاه النبي ، وجاه غيره من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ والصالحين فليس ذلك لأننا ننكر أن يكون لهم جاه ، أو قدر أو مكانة عند الله عَزَّوَجَلَّ ، كما أنه ليس ذلك لأننا نبغضهم ، وننكر قدرهم ومنزلتهم عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، ولا تشعر أفئدتنا بمحبتهم .

بل إن كل مخلص منصف لِيَعْلَمُ علم اليقين بأن أتباع سنة النبي - والحمد لله - من أشد الناس حبا لرسول الله ، ومن أعرفهم بقدره وحقه وفضله ، وبأنه أفضل النبيين ، وسيد المرسلين ، وخاتمهم وخيرهم ، وصاحب اللواء المحمود ، والحوض المورود ، والشفاعة العظمى ، والوسيلة والفضيلة ، والمعجزات الباهرات ، وبأن الله تعالى نسخ بدينه كل دين ، وأنزل عليه سبعا من المثاني والقرآن العظيم ، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس ، إلى آخر ما هنالك من فضائله ومناقبه التي تبين قدره العظيم ، وجاهه المنيف - صلى الله عليه وآله وسلم تسليما كثيرا .

إننا من أول الناس اعترافاً بذلك كله ، ولعل منزلة
النبي عندنا محفوظة أكثر بكثير مما هي محفوظة لدى
الآخرين ، الذين يدعون محبته ، ويتظاهرون بمعرفة قدره ،
لأن العبرة في ذلك كله إنما هي في الاتباع له ، وامثال
أوامره ، واجتناب نواهيه ، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (قُلْ إِنْ
كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ
رَحِيمٌ) (آل عمران: ٣١).

وطاعة الله عَزَّوَجَلَّ ، واتباع نبيه هما أصدق الأدلة
على المودة والمحبة الخالصة بخلاف الغلو في التعظيم ،
والإفراط في الوصف اللذين نهى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عنهما ،
فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي
دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ) (النساء: ١٧١) كما
نهى النبي عنها فقال: « لَا تُظْرُونِي كَمَا أَظَرْتُ
النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ
وَرَسُولُهُ ». (رواه البخاري).

الرد على شبهات من أجاز التوسل بالمخلوقين:

الشبهة الأولى: قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (المائدة: ٣٥).

الجواب: قال إمام المفسرين الحافظ ابن جرير / في
تفسيرها: « يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله فيما أخبرهم ،
وواعد من الثواب ، وأواعد من العقاب. (اتَّقُوا اللَّهَ
وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ) يقول: أجبوا الله فيما أمركم ،
ونهاكم بالطاعة له في ذلك. (وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ) :
يقول: « واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه ».

ونقل الحافظ ابن كثير عن ابن عباس أن: معنى
الوسيلة فيها القربة ، ونقل مثل ذلك عن مجاهد وأبي وائل
والحسن وعبد الله بن كثير والسدي وابن زيد وغير واحد ،
ونقل عن قتادة قوله فيها: « أي تقربوا إليه بطاعته ، والعمل
بما يرضيه » ثم قال ابن كثير: « وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة

لا خلاف بين المفسرين فيه ... والوسيلة هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود».

الشبهة الثانية:

قوله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا) (الإسراء: ٥٧).

الجواب: بين الصحابي الجليل عبد الله بن

مسعود مناسبة نزولها التي توضح معناها فقال: « نَزَلَتْ فِي نَفَرٍ مِنَ الْعَرَبِ كَانُوا يَعْبُدُونَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ ، فَأَسْلَمَ الْجِنِّيُّونَ ، وَالْإِنْسُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ». (رواه مسلم). وكذلك رواه البخاري بلفظ: « كَانَ نَاسٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعْبُدُونَ نَاسًا مِنَ الْجِنِّ ، فَأَسْلَمَ الْجِنُّ وَتَمَسَّكَ هَؤُلَاءِ بِدِينِهِمْ ».

قال الحافظ ابن حجر / : « أَيِ اسْتَمَرَ الْإِنْسُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ عَلَىٰ عِبَادَةِ الْجِنِّ ، وَالْجِنُّ لَا يَرْضُونَ

بِذَلِكَ لِكُونِهِمْ أَسْلَمُوا ، وَهُمْ الَّذِينَ صَارُوا يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ
الْوَسِيلَةَ ... وَهَذَا هُوَ الْمُعْتَمَدُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ .

وهذه الرواية صريحة في أن المراد بالوسيلة ما يتقرب به

إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، ولذلك قَالَ تَعَالَى: (يَبْتَغُونَ) أي
يطلبون ما يتقربون به إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ الْأَعْمَالِ
الصَّالِحَةِ.

الشبهة الثالثة: قوله تَعَالَى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذِ

ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ
لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا) (النساء: ٦٤).

قال الصوفية: يطلب الله عَزَّوَجَلَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الذَّهَابَ

إِلَى النَّبِيِّ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ عِنْدَ ذَاتِهِ الشَّرِيفَةِ ، وَأَنَّ
ذَلِكَ أَرْجَى فِي قَبُولِ اسْتَغْفَارِهِمْ .

واستدلوا بالحكاية المشهورة التي ذُكِرَتْ فِي تَفْسِيرِ

(ابن كثير) عن العتبي قال: كنت جالسًا عند قبر النبي

فجاء أعرابي فقال: « السلام عليك يا رسول الله ، سمعت

الله يقول (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذِ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ

فَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْ جَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا
رَحِيمًا) (النساء: ٦٤). وقد جئتكم مستغفراً لذنبي ،
مستشفعاً بك إلى ربي » ، ثم أنشأ يقول:

يا خيرَ من دُفِنْتُ بالقاعِ أعظمُهُ

فطاب من طيبهنّ القاعُ والأكمُ

نفسي الفداءً لقبرٍ أنت ساكنهُ

فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرمُ

ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني فرأيت النبي
في النوم فقال: « يا عتبي ، الحق الأعرابي فبشّره أن الله قد
غفر له ».

?? ? ? ?

أولاً: هذه القصة ضعيفة لم يُثبتها أحد ممن أوردوها ،
بل صنيع بعضهم يدل على ضعفها.

ثانياً: الأعرابي مجهول لا حجة في فعله لو صح الإسناد
إليه ، فكيف وإسناد القصة لا تقوم به الحجة.

ثالثاً: على فرض صحة القصة - وهي غير صحيحة - فإن دليل الصوفية في القصة قول العتبي: « فغلبتني عيني فرأيت النبي في النوم ، فقال: « يا عتبي الحق الأعرابي فبشّره أن الله قد غفر له » .

ونسألهم: متى كانت الأحلام والرؤى مصدرًا من مصادر التشريع؟!!!

ونسألهم: لو جاء رجل لأحد هؤلاء الصوفية وقال له: « رأيت الرسول في الرؤيا يأمرك أن تعطيني بيتك بلا مقابل » ، فهل سيعطيه بيته بلا مقابل؟ بالطبع لن يفعل ؛ لأنها مجرد رؤيا ، فكيف يقبلون الدين من الرؤى وهو عند كل مسلم أعز عليه من بيته وماله ووالده وولده والناس أجمعين؟

الشبهة الرابعة: حديث استسقاء عمر بالعباس :

يحتجون على جواز التوسل بجاه الأشخاص وحرمتهم وحقهم بحديث أنس أنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ،

فَقَالَ: « اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا ، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا » ، قَالَ: « فَيُسْقَوْنَ ». (رواه البخاري).

يفهمون من هذا الحديث أن توسل عمر إنما كان بجاه العباس ، ومكانته عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وأن توسله كان مجرد ذِكرٍ منه للعباس في دعائه ، وطلب منه الله عَزَّوَجَلَّ أن يسقيهم من أجله ، وقد أقره الصحابة - بزعمهم - على ذلك ، فأفاد - بزعمهم - ما يدعون.

وأما سبب عدول عمر عن التوسل بالنبى - بزعمهم - وتوسله بدلاً منه بالعباس ، فقالوا: إنما كان لبيان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل ليس غير.

وفهمهم هذا خاطئ ، وتفسيرهم هذا مردود لأن من القواعد المهمة في الشريعة الإسلامية أن النصوص الشرعية يفسر بعضها بعضاً ، ولا يُفهم شيء منها في موضوع ما بمعزل عن بقية النصوص الواردة فيه. وبناءً على ذلك

فحديث توسل عمر السابق إنما يفهم على ضوء ما ثبت من الروايات والأحاديث الواردة في التوسل بعد جمعها وتحقيقها.

ونحن والصوفية متفقون على أن في كلام عمر :
« اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا ... وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا » شيئاً محذوفاً ، لا بد له من تقدير ، وهذا التقدير :

إما أن يكون : « اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بـ (جاه) نَبِيِّنَا ... وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بـ (جاه) عَمِّ نَبِيِّنَا » على رأيهم هم .

أو يكون : « اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بـ (دعاء) نَبِيِّنَا ... وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بـ (دعاء) عَمِّ نَبِيِّنَا » على رأينا نحن .

ولا بد من الأخذ بواحدٍ من هذين التقديرين ليفهم الكلام بوضوح وجلاء .

ولنعرف أي التقديرين صوابٌ لا بد من اللجوء إلى السنة ، لتبين لنا طريقة توسل الصحابة الكرام بالنبي . هل كانوا إذا أجدبوا وقحطوا قَبَعَ كل منهم في داره ، أو مكان آخر ، أو اجتمعوا دون أن يكون معهم النبي ،

ثم دعوا ربهم قائلين: « اللهم بنبيك محمد ، وحرمة عندك ، ومكانته لديك اسقنا الغيث » مثلاً ، أم كانوا يأتون النبي ذاته فعلاً ، ويطلبون منه أن يدعو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَهُمْ ، فيحقق طلبهم ، ويدعو ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، ويتضرع إليه حتى يُسْقُوا؟

أما الأمر الأول فلا وجود له إطلاقاً في السنة النبوية الشريفة ، وفي عمل الصحابة ، ولا يستطيع أحد من الصوفية أن يأتي بدليل يثبت أن طريقة توسلهم كانت بأن يذكروا في أدعيتهم اسم النبي ، ويطلبوا من الله عَزَّوَجَلَّ بحقه وقدره عنده ما يريدون.

بل الذي نجده بكثرة في كتب السنة أن طريقة توسل الأصحاب الكرام بالنبي إنما كانت إذا رغبوا في قضاء حاجة ، أو كشف نازلة أن يذهبوا إليه ، ويطلبوا منه مباشرة أن يدعو لهم ربه ، أي أنهم كانوا يتوسلون إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بدعاء الرسول الكريم ليس غير.

ومن أمثلة ذلك ما رواه البخاري من مجيء الأعرابي إلى المسجد يوم الجمعة حيث كان رسول الله ﷺ يخطب ، وعرضه له ضنك حالهم ، وجذب أرضهم ، وهلاك ماشيتهم ، وطلبه منه أن يدعو الله سبحانه وتعالى لينقذهم مما هم فيه ، فاستجاب له الرسول ﷺ ، وهو الذي وصفه ربه بقوله: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) (التوبة: ١٢٨) ، فدعا لهم ربه ، واستجاب سبحانه وتعالى دعاء نبيه ، ورحم عباده ونشر رحمته ، وأحيا بلدهم الميت.

ومن ذلك أيضاً ما رواه البخاري من مجيء الأعرابي السابق نفسه أو غيره إلى النبي ﷺ وهو يخطب الجمعة الثانية ، وشكواه له انقطاع الطرقات وتهدم البنيان ، وهلاك المواشي ، وطلبه منه أن يدعو لهم ربه ، ليمسك عنهم الأمطار ، وفعل ، فاستجاب له ربه عز وجل أيضاً.

سؤال: لماذا عدل عمر عن التوسل بالنبي إلى التوسل بالعباس ، مع العلم أن العباس مهما كان شأنه ومقامه فإنه لا يُذكر أمام شأن النبي ومقامه؟

والجواب: أن التوسل بالنبي غير ممكن بعد وفاته ، فأني لهم أن يذهبوا إليه ويشرحوا له حالهم ، ويطلبوا منه أن يدعو لهم ، ويؤمنوا على دعائه ، وهو قد انتقل إلى الرفيق الأعلى ، وأضحى في حال يختلف عن حال الدنيا وظروفها مما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى ، فأني لهم أن يحظوا بدعائه وشفاعته فيهم ، وبينهم وبينه كما قال الله تعالى: (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (المؤمنون: ١٠٠).

ولذلك لجأ عمر ، وهو العربي الأصيل الذي صحب النبي ولازمه في أكثر أحواله ، وعرفه حق المعرفة ، وفهم دينه حق الفهم ، ووافق القرآن في مواضع عدة ، لجأ إلى توسل ممكن فاختر العباس ، لقرابته

من النبي من ناحية ، ولصلاحه ودينه وتقواه من ناحية أخرى ، وطلب منه أن يدعو لهم بالغيث والسُّقْيَا.

وما كان لعمر ولا لغير عمر أن يَدَعَ التوسل بالنبي ، ويلجأ إلى التوسل بالعباس أو غيره لو كان التوسل بالنبي ممكناً ، وما كان من المعقول أن يقر الصحابة عمر على ذلك أبداً ؛ لأن الانصراف عن التوسل بالنبي إلى التوسل بغيره ما هو إلا كالانصراف عن الاقتداء بالنبي في الصلاة إلى الاقتداء بغيره ، سواء بسواء ، ذلك أن الصحابة كانوا يعرفون قدر نبينهم ومكانته وفضله معرفة لا يدانيهم فيها أحد.

تعليلٌ مُضحكٌ وعجيبٌ:

إن تعليل الصوفية لعدول عمر عن التوسل بالنبي إلى التوسل بالعباس بأنه لبيان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل هو تعليل مضحك وعجيب:

١- إذ كيف يمكن أن يخطر في بال عمر ، أو في بال غيره من الصحابة الكرام تلك الحذقة الفقهية المتأخرة ، وهو يرى الناس في حالة شديدة من الضنك والكرب ، والشقاء والبؤس ، يكادون يموتون جوعاً وعطشاً لشح الماء وهلاك الماشية ، وخلو الأرض من الزرع والخضرة حتى سمي ذاك العام بعام الرمادة ، كيف يَرِدُ في خاطره تلك الفلسفة الفقهية في هذا الظرف العصيب ، فيدع الأخذ بالوسيلة الكبرى في دعائه ، وهي التوسل بالنبي الأعظم - لو كان ذلك جائزاً - ويأخذ بالوسيلة الصغرى ، التي لا تقارن بالأولى ، وهي التوسل بالعباس ، لماذا؟ لا لشيء إلا ليبين للناس أنه يجوز لهم التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل !!

إن المشاهد والمعلوم أن الإنسان إذ حلت به شدة يلجأ إلى أقوى وسيلة عنده في دفعها ، ويدع الوسائل الأخرى لأوقات الرخاء ، وهذا كان يفهمه الجاهليون المشركون أنفسهم ، إذ كانوا يدعون أصنامهم في أوقات اليسر ، ويتركونها ويدعون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وحده في أوقات العسر ،

كما قال تعالى: (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ
الدِّينَ فَلَمَّا بَجَّهْم إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ) (العنكبوت:
٢٦٥).

فنعلم من هذا أن الإنسان بفطرته يستنجد بالقوة
العظمى ، والوسيلة الكبرى حين الشدائد ، وقد يلجأ إلى
الوسائل الصغرى حين الأمن واليسر ، وقد يخطر في باله
حينذاك أن يبين ذلك الحكم الفقهي الذي افترضوه ، وهو
جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل .

لقد فسّرت بعض روايات الحديث الصحيحة كلام
عمر المذكور وقصده ؛ إذ نقلت دعاء العباس
استجابةً لطلب عمر ، فمن ذلك ما نقله الحافظ
العسقلاني / حيث قال: « وَقَدْ بَيَّنَّ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ فِي
الْأَنْسَابِ صِفَةَ مَا دَعَا بِهِ الْعَبَّاسُ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ ، وَالْوَقْتُ
الَّذِي وَقَعَ فِيهِ ذَلِكَ ؛ فَأَخْرَجَ بِإِسْنَادٍ لَهُ أَنَّ الْعَبَّاسَ لَمَّا
اسْتَسْقَى بِهِ عُمَرُ قَالَ: « اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ بِلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ ، وَلَمْ
يُكْشَفْ إِلَّا بِتَوْبَةٍ ، وَقَدْ تَوَجَّهَ الْقَوْمُ بِإِلَيْكَ لِمَكَانِي مِنْ

نَبِيِّكَ ، وَهَذِهِ أَيْدِينَا إِلَيْكَ بِالذُّنُوبِ وَنَوَاصِينَا إِلَيْكَ بِالتَّوْبَةِ ؛
فَاسْقِنَا الْغَيْثَ « ، فَأَرْخَتِ السَّمَاءُ مِثْلَ الْجِبَالِ حَتَّى أَخْصَبَتِ
الْأَرْضَ وَعَاشَ النَّاسُ .

وفي هذا الحديث:

١- التوسل بدعاء العباس لا بذاته كما بينه
الزبير بن بكار وغيره ، وفي هذا ردُّ واضح على الذين
يزعمون أن توسل عمر كان بدات العباس لا
بدعائه ؛ إذ لو كان الأمر كذلك لما كانت هناك حاجة ليقوم
العباس ، فيدعو بعد عمر دعاءً جديدًا .

٢- أن عمر بن الخطاب صرح بأنهم كانوا
يتوسلون بنبينا في حياته ، وأنه في هذه الحادثة توسل
بعمه العباس ، ومما لا شك فيه أن التوسلين من نوع
واحد: توسلهم بالرسول وتوسلهم بالعباس ،
وإذ تبين للقارئ الكريم أن توسلهم به إنما كان توسلاً
بدعائه فتكون النتيجة أن توسلهم بالعباس إنما هو
توسل بدعائه أيضًا ، بضرورة أن التوسلين من نوع واحد .

الشبهة الخامسة: حديث الضير:

عَنْ عَثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ ، أَنَّ رَجُلًا ضَرِيرَ الْبَصَرِ أَتَى
النَّبِيَّ ، فَقَالَ : « ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي » ، قَالَ : \$ إِنَّ شِئْتَ
دَعَوْتُ لَكَ ، وَإِنْ شِئْتَ أَخَّرْتُ ذَاكَ ، فَهُوَ خَيْرٌ # ، فَقَالَ :
« ادْعُهُ » ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ ، فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ ، وَيُصَلِّيَ
رَكَعَتَيْنِ ، وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ ، وَأَتَوَجَّهُ
إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، يَا مُحَمَّدُ ، إِنِّي تَوَجَّهْتُ
بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ ، فَتَقْضِي لِي ، اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ ،
وَشَفِّعْنِي فِيهِ » ، قَالَ : فَفَعَلَ الرَّجُلُ ، فَبرَأَ . (رواه الإمام
أحمد في المسند ، وابن ماجه ، وصححه الألباني).

يرى الصوفية أن هذا الحديث يدل على جواز
التوسُّل في الدعاء بجاه النبي أو غيره من
الصالحين ، إذ فيه أن النبي علم الأعمى أن يتوسل به
في دعائه ، وقد فعل الأعمى ذلك فعاد بصيرًا .

وهذا الحديث لا حجة لهم فيه على التوسُّل المختلف
فيه ، وهو التوسل بالذات ، بل هو دليل آخر على النوع

الثالث من أنواع التوسل المشروع ؛ لأن توسل الأعمى إنما كان بدعائه.

والأدلة على ذلك من الحديث نفسه كثيرة ، وأهمها :

أولاً: أن الأعمى إنما جاء إلى النبي ليدعوه له ، وذلك قوله: « ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي » فهو توسل إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بدعائه ، لأنه يعلم أن دعاءه أرجى للقبول عند الله عَزَّوَجَلَّ بخلاف دعاء غيره. ولو كان قَصْد الأعمى التوسل بذات النبي أو جاهه أو حقه لَمَا كانت هناك حاجةٌ به إلى أن يأتي النبي ، ويطلب منه الدعاء له ، بل كان يقعد في بيته ، ويدعوه ربه بأن يقول مثلاً: « اللهم إني أسألك بجاه نبيك ومنزلته عندك أن يشفيني ، وتجعلني بصيراً ».

ولكنه لم يفعل ، لماذا؟ لأنه عربي يفهم معنى التوسل في لغة العرب حق الفهم ، ويعرف أنه ليس كلمة يقولها صاحب الحاجة ، يذكر فيها اسم المتوسِّل به ، بل لا بد أن

يشتمل على المجيء إلى من يعتقد فيه الصلاح والعلم بالكتاب والسنة ، وطلب الدعاء منه له .

ثانياً: أن النبي وعده بالدعاء مع نصحه له ببيان ما هو الأفضل له ، وهو قوله : « إِنَّ شِئْتَ دَعَوْتُ لَكَ ، وَإِنْ شِئْتَ أَخَرْتُ ذَاكَ ، فَهُوَ خَيْرٌ » . وهذا الأمر الثاني هو ما أشار إليه في الحديث الذي رواه عن ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ : « إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتِيهِ فَصَبَرَ ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ » (رواه البخاري).

ثالثاً: إصرار الأعمى على الدعاء وهو قوله: (فَادْعُهُ) ، فهذا يقتضي أن الرسول دعا له ؛ لأنه خير من وَفَى بِمَا وَعَدَ ، وقد وعده بالدعاء له إن شاء كما سبق ، فقد شاء الأعمى الدعاء وأصر عليه ، فإذن لا بد أنه دعا له ، فثبت المراد .

وقد وجَّه النبي الأعمى بدافع من رحمته ، وبحرص منه أن يستجيب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى دعاءه فيه ، وجهه إلى النوع الثاني من التوسل المشروع ، وهو التوسل بالعمل

الصالح ، ليجمع له الخير من أطرافه ، فأمره أن يتوضأ
ويصلي ركعتين ثم يدعو لنفسه ، وهذه الأعمال طاعة لله
عَزَّوَجَلَّ يقدمها بين يدي دعاء النبي له ، وهي تدخل في
قوله تَعَالَى: (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ
الْوَسِيلَةَ) (المائدة: ٣٥).

وهكذا فلم يكتف الرسول بدعائه للأعمى
الذي وعده به ، بل شغله بأعمال فيها طاعة لله عَزَّوَجَلَّ وقربة
إليه ، ليكون الأمر مكتملاً من جميع نواحيه ، وأقرب إلى
القبول والرضا من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وعلى هذا ، فالحادثة
كلها تدور حول الدعاء - كما هو ظاهر - وليس فيها ذكر
شيء مما يزعمون.

رابعاً: أن في الدعاء الذي علمه رسول الله إياه
أن يقول: « اللَّهُمَّ فَشِّعْهُ فِيَّ » وهذا يستحيل حمله على
التوسل بذاته ، أو جاهه ، أو حقه ، إذ أن المعنى: اللهم
اقبل شفاعته فِيَّ ، أي اقبل دعاءه في أن ترد عليَّ
بصري ، والشفاعة لغة الدعاء ، وهو المراد بالشفاعة الثابتة

له ولغيره من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ والصالحين يوم القيامة ، وهذا يبين أن الشفاعة أخص من الدعاء ، إذ لا تكون إلا إذا كان هناك اثنان يطلبان أمرًا ، فيكون أحدهما شفيعًا للآخر ، بخلاف الطالب الواحد الذي لم يشفع غيره .
جاء في (لسان العرب): « الشفاعة كلام الشفيح للملك في حاجة يسألها لغيره ، والشافع الطالب لغيره ، يتشفع به إلى المطلوب ، يقال تشفعت بفلان إلى فلان ، فشفعني فيه . » فثبت بهذا الوجه أيضًا أن توسل الأعمى إنما كان بدعائه لا بذاته .

خامسًا: إن مما علم النبي الأعمى أن يقوله: « وَشَفَّعْنِي فِيهِ » أي اقبل شفاعتي (أي دعائي) في أن تقبل شفاعته (أي دعاءه) في أن ترد عليَّ بصري . هذا الذي لا يمكن أن يفهم من هذه الجملة سواه .

ولهذا ترى المخالفين يتجاهلونها ولا يتعرضون لها من قريب أو من بعيد ؛ لأنها تنسف بنيانهم من القواعد ، وتجتثه من الجذور ، وإذا سمعوها رأيتهم ينظرون إليك نظر المغشي

عليه. ذلك أن شفاة الرسول في الأعمى مفهومة ،
ولكن شفاة الأعمى في الرسول كيف تكون؟ لا
جواب لذلك عندهم البتة.

ومما يدل على شعورهم بأن هذه الجملة تبطل
تأويلاتهم أنك لا ترى واحداً منهم يستعملها ، فيقول في
دعائه مثلاً: اللهم شفِّع فيَّ نبيك ، وشفِّعني فيه.

سادساً: إن هذا الحديث ذكره العلماء في معجزات
النبي ودعائه المستجاب وما أظهره الله عزَّوَجَلَّ ببركة
دعائه من الخوارق والإبراء من العاهات ، فإنه بدعائه
لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره ، ولذلك رواه المصنِّفون
في (دلائل النبوة) كالبيهقي وغيره ، فهذا يدل على أن السر
في شفاء الأعمى إنما هو دعاء النبي .

كما أنه لو كان السر في شفاء الأعمى أنه توسل بجاه
النبي وقدره وحقه ، كما يفهم عامة المتأخرين ، لكان
من المفروض أن يحصل هذا الشفاء لغيره من العميان الذين
يتوسلون بجاهه ، بل ويضمون إليه أحياناً جاه جميع

الأنبياء والمرسلين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وكل الأولياء والشهداء والصالحين ، وجاه كل من له جاه عند الله من الملائكة ، والإنس والجن أجمعين! ولم نعلم ولا نظن أحداً قد علم حصول مثل هذا خلال القرون الطويلة بعد وفاته إلى اليوم.

تَنْبِيْهُ:

قول الأعمى في دعائه: « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ ، وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، يَا مُحَمَّدُ ، إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي » إنما المراد به: أتوسل إليك بدعاء نبيك ، أي على حذف المضاف ، وهذا أمر معروف في اللغة ، كقوله تَعَالَى: (وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا) (يوسف: ٨٢) أي أهل القرية وأصحاب العير.

تَنْبِيْهُ:

وقع في بعض الطرق الأخرى لحديث الضرير السابق زيادتان لا بد من بيان شذوذهما وضعفهما ، حتى يكون

القارئ على بينة من أمرهما ، فلا يغتر بقول من احتج بهما على خلاف الحق والصواب .

الزيادة الأولى: زاد في آخره بعد قوله: وشفع نبيي في رد بصري: « وإن كانت حاجة فافعل مثل ذلك » .

الزيادة الثانية: قصة الرجل مع عثمان بن عفان ، وتوسله به حتى قضى له حاجته ، وأخرجها الطبراني عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، عن عمه عثمان بن حنيف أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان في حاجة له ، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته .

فلقي ابن حنيف فشكى ذلك إليه ، فقال له عثمان بن حنيف: « ائت الميضاة فتوضأ ، ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ، ثم قل: « اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد نبي الرحمة ، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فتقضي لي حاجتي » ، وتذكر حاجتك ، وروح حتى أروح معك .

فَانطَلَقَ الرَّجُلُ فَصَنَعَ مَا قَالَ لَهُ ، ثُمَّ أَتَى بَابَ عُثْمَانَ بْنِ
عَفَّانَ ، فَجَاءَ الْبَوَّابُ حَتَّى أَخَذَ بِيَدِهِ فَأَدْخَلَهُ عَلَى
عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، فَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى الطَّنْفِيسَةِ ، فَقَالَ : «
حَاجَتُكَ ؟ » ، فَذَكَرَ حَاجَتَهُ وَقَضَاهَا لَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ : « مَا
ذَكَرْتُ حَاجَتَكَ حَتَّى كَانَ السَّاعَةُ » ، وَقَالَ : « مَا كَانَتْ لَكَ
مِنْ حَاجَةٍ فَأَذْكُرْهَا » .

ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ فَلَقِيَ عُثْمَانَ بْنَ حُنَيْفٍ ،
فَقَالَ لَهُ : « جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مَا كَانَ يَنْظُرُ فِي حَاجَتِي وَلَا
يَلْتَفِتُ إِلَيَّ حَتَّى كَلَّمْتَهُ فِيَّ » ، فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ : « وَاللَّهِ
مَا كَلَّمْتُهُ ، وَلَكِنِّي شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَتَاهُ ضَرِيرٌ
فَشَكَى إِلَيْهِ ذَهَابَ بَصَرِهِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : « فَتَصَبَّرْ » ،
فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَيْسَ لِي قَائِدٌ وَقَدْ شَقَّ عَلَيَّ » ، فَقَالَ
النَّبِيُّ ﷺ : « أَنْتِ الْمَيْضَاءُ فَتَوَضَّأْ ، ثُمَّ صَلِّ رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ ادْعُ
بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ » .

قَالَ ابْنُ حُنَيْفٍ : « فَوَاللَّهِ مَا تَفَرَّقْنَا وَطَالَ بِنَا الْحَدِيثُ
حَتَّى دَخَلَ عَلَيْنَا الرَّجُلُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ ضُرٌّ قَطُّ » .

وفي القصة جملة إذا تأمل فيها العاقل العارف بفضائل الصحابة وجدها من الأدلة الأخرى على نكارتها وضعفها ، وهي أن الخليفة الراشد عثمان كان لا ينظر في حاجة ذلك الرجل ، ولا يلتفت إليه ! فكيف يتفق هذا مع ما صح عن النبي أن الملائكة تستحي من عثمان ، ومع ما عُرِفَ به من رفقته بالناس ، وبرّه بهم ، ولينه معهم ؟ هذا كله يجعلنا نستبعد وقوع ذلك منه ، لأنه ظلم يتنافى مع شمائله .

الشبهة السادسة: الأحاديث الضعيفة في

التوسل:

الحديث الأول: رُوِيَ عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: « مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى الصَّلَاةِ ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ ، وَأَسْأَلُكَ بِحَقِّ مَمْشَايَ هَذَا ، فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشْرًا ، وَلَا بَطْرًا ، وَلَا رِيَاءً ، وَلَا سُمْعَةً ، وَخَرَجْتُ اتِّقَاءَ سُخْطِكَ ، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ ، فَأَسْأَلُكَ أَنْ تُعِيدَنِي مِنَ النَّارِ ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي ، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، أَقْبَلِ اللَّهُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ » .

الحديث الثاني: ما روي عن بلال أنه قال: « كان رسول الله إذا خرج إلى الصلاة قال: بسم الله ، آمنت بالله ، توكلت على الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله. اللهم بحق السائلين عليك ، وبحق مخرجي هذا ، فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ... ».

ومع كون هذين الحديثين ضعيفين فهما لا يدلان على التوسل بالمخلوقين أبداً ، وإنما يعودان إلى أحد أنواع التوسل المشروع الذي تقدم الكلام عنه ، وهو التوسل إلى الله تعالى بصفة من صفاته عزَّوَجَلَّ ؛ لأنَّ فيهما التوسل بحق السائلين على الله وبحق ممشى المصلِّين.

فما هو حق السائلين على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟ لا شك أنه إجابة دعائهم ، وإجابة الله دعاء عباده صفة من صفاته عزَّوَجَلَّ ، وكذلك حق ممشى المسلم إلى المسجد هو أن يغفر الله له ، ويدخله الجنة ومغفرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ورحمته ، وإدخاله بعض خلقه ممن يطيعه الجنة. كل ذلك صفات له تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

الحديث الثالث: رُوِيَ عن أبي أمامة قال: « كان رسول الله إذا أصبح ، وإذا أمسى دعا بهذا الدعاء: اللهم أنت أحقُّ مَنْ ذُكِرَ ، وأحقُّ مَنْ عُبِدَ ... أسألك بنور وجهك الذي أشرقت له السماوات والأرض ، وبكل حق هو لك ، وبحق السائلين عليك ... ».

الحديث الرابع: رُوِيَ عن أنس بن مالك قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم عليٍّ دعا أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلامًا أسود يحفرون ... فلما فرغ دخل رسول الله ، فاضطجع فيه فقال: « الله الذي يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، اغفر لأمي فاطمة بين أسد ، ولقننها حجتها ، ووسّعْ مُدْخَلَهَا بحق نبيك ، والأنبياء الذين من قبلي ، فإنك أرحم الراحمين ... ».

الحديث الخامس: رُوِيَ عن أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد قال: « كان رسول الله يستفتح بصعاليك المهاجرين ».

الحديث السادس: رُوِيَ عن عمر بن الخطاب مرفوعاً: « لما اقترف آدم الخطيئة قال: « يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي » ، فقال: « يا آدم ! وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ » ، قال: « يا رب لما خلقتني بيدك ، ونفخت فيّ من روحك رفعتُ رأسي ، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعلمتُ أنك لم تُضِفْ إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك » ، فقال: « غفرتُ لك ، ولولا محمد ما خلقتك » .

الحديث السابع: « توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم » ، وبعضهم يرويه بلفظ: « إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي ، فإن جاهي عند الله عظيم » .

الشبهة السابعة: أثران ضعيفان:

الأثر الأول: أثر الاستسقاء بالرسول بعد وفاته:

قال الحافظ ابن حجر في (الفتح) (٢/٣٩٧) ما نصه: « وَرَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي صَالِحِ السَّمَّانِ عَنْ مَالِكِ الدَّارِ - وَكَانَ خَازِنَ عُمَرَ - قَالَ: « أَصَابَ النَّاسَ قَحْطٌ فِي زَمَنِ عُمَرَ فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى قَبْرِ النَّبِيِّ ،

فَقَالَ: « يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَسْقِ لِأُمَّتِكَ ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا » ،
فَأَتَى الرَّجُلَ فِي الْمَنَامِ فَقِيلَ لَهُ: « أَنْتَ عُمَرُ ... » الْحَدِيثُ ،
وَقَدْ رَوَى سَيْفٌ فِي (الْفُتُوحِ) أَنَّ الَّذِي رَأَى الْمَنَامَ
الْمَذْكُورَ هُوَ بِلَالُ بْنُ الْحَارِثِ الْمُزَنِيُّ أَحَدُ الصَّحَابَةِ .»

والجواب من وجوه:

الأول: عدم التسليم بصحة هذه القصة ، لأن مالك
الدار غير معروف العدالة والضبط ، وهذان شرطان
أساسيان في كل سند صحيح كما تقرر في علم المصطلح .
ولا ينافي هذا قول الحافظ: « بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ مِنْ رِوَايَةِ
أَبِي صَالِحٍ السَّمَّانِ) لأن كلامه ليس نصاً في تصحيح جميع
السند بل إلى أبي صالح فقط ، ولولا ذلك لما ابتدأ هو
الإسناد من عند أبي صالح ، ولقال رأساً: (عن مالك الدار
... وإسناده صحيح) ولكنه تعمد ذلك ؛ ليلفت النظر إلى
أنها هنا شيئاً ينبغي النظر فيه .

والعلماء إنما يفعلون ذلك لأسباب منها: أنهم قد لا
يخضرون ترجمة بعض الرواة ، فلا يستجيزون لأنفسهم

حذف السند كله ، لما فيه من إيهام صحته لاسيما عند الاستدلال به ، بل يُورِدُونَ منه ما فيه موضع للنظر فيه ، وهذا هو الذي صنعه الحافظ / هنا ، وكأنه يشير إلى تفرد أبي صالح السمان عن مالك الدار. وهو يحيل بذلك إلى وجوب التثبت من حال مالك هذا أو يشير إلى جهالته.

الثاني: أنها مخالفة لما ثبت في الشرع من استحباب إقامة صلاة الاستسقاء لاستنزال الغيث من السماء ، كما ورد ذلك في أحاديث كثيرة ، وأخذ به جماهير الأئمة ، بل هي مخالفة لما أفادته الآية من الدعاء والاستغفار ، وهي قوله تعالى في سورة نوح: (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾)

يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا) (نوح: ١٠-١١) ، وهذا ما فعله عمر بن الخطاب حين استسقى وتوسل بدعاء العباس ، وهكذا كانت عادة السلف الصالح كلما أصابهم القحط أن يصلوا ويدعوا ، ولم يُنقل عن أحد منهم مطلقاً أنه التجأ إلى قبر النبي ، وطلب منه الدعاء للسقيا ،

ولو كان ذلك مشروعاً لفعلوه ولو مرة واحدة ، فإذا لم يفعلوه دل ذلك على عدم مشروعية ما جاء في القصة.

الثالث: هَبْ أن القصة صحيحة ، فلا حجة فيها ، لأن مدارها على رجل لم يُسَمَّ ، فهو مجهول أيضاً ، وتسميته بلائاً في رواية سيف لا يساوي شيئاً ، لأن سيفاً هذا - وهو ابن عمر التميمي - مُتَّفَقٌ على ضعفه عند المحدثين ، بل قال ابن حبان فيه: « يروي الموضوعات عن الأثبات ، وقالوا: إنه كان يضع الحديث ».

فمن كان هذا شأنه لا تُقْبَلُ روايته ولا كرامته ، لاسيما عند المخالفة.

تَنْبِيْهُ:

سيف هذا يَرِدُ ذِكْرُه كَثِيْرًا في تاريخ ابن جرير وابن كثير وغيرهما ، فينبغي على المشتغلين بعلم التاريخ أن لا يغفلوا عن حقيقة أمره حتى لا يعطوا الروايات ما لا تستحق من المنزلة.

الأثر الثاني: أثر فتح الكوى فوق قبر الرسول إلى السماء: روى الدارمي في (سننه): حدثنا أبو النعمان ثنا سعيد ابن زيد ثنا عمرو بن مالك النكري حدثنا أبو الجوزاء أوس بن عبد الله قال: قحط أهل المدينة قحطاً شديداً ، فشكوا إلى عائشة ، فقالت: انظروا قبر النبي فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ، قال: ففعلوا ، فمُطِرْنَا مطراً حتى نبت العشب ، وسمِنَتْ الإبل حتى تفتقت من الشحم ، فسمي عام الفتق.

الشبهة الثامنة: قياس الخالق على المخلوقين:

يقول المخالفون إن التوسل بذوات الصالحين وأقذارهم أمر مطلوب وجائز ؛ لأنه مبني على منطق الواقع ومتطلباته ، ذلك أن أحداً إذا كانت له حاجة عند ملك أو وزير أو مسؤول كبير فهو لا يذهب إليه مباشرة ، لأنه يشعر أنه ربما لا يلتفت إليه ، هذا إذا لم يردّه أصلاً ، ولذلك كان من الطبيعي إذا أردنا حاجة من كبير فإننا نبحث عن

يعرفه ، ويكون مقرباً إليه أثيراً عنده ، ونجعله واسطة بيننا وبينه ، فإذا فعلنا ذلك استجاب لنا ، وقضيت حاجتنا .

وهكذا الأمر نفسه في علاقتنا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بزعمهم - فالله عَزَّوَجَلَّ عظيم العظماء ، وكبير الكبراء ، ونحن مذنبون عصاة ، وبعيدون لذلك عن جناب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، ليس من اللائق بنا أن ندعوه مباشرة ؛ لأننا إن فعلنا ذلك خفنا أن يردنا على أعقابنا خائبين ، أو لا يلتفت إلينا فترجع بِخُفْيٍ حنين ، وهناك ناس صالحون كالأنبياء والرسل والشهداء قريبون إليه تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، يستجيب لهم إذا دعوه ، ويقبل شفاعتهم إذا شفَعُوا لديه ، أفلا يكون الأولى بنا والأحرى أن نتوسل إليه بجاههم ، ونقدم بين يدي دعائنا ذِكْرَهُمْ ، عسى أن ينظر الله عَزَّوَجَلَّ إلينا إكراماً لهم ، ويجيب دعاءنا مراعاة لخاطرهم ، فلماذا تمنعون هذا النوع من التوسل ، والبشر يستعملونه فيما بينهم ، فلم لا يستعملونه مع ربهم ومعبودهم؟

الجواب على هذه الشبهة:

هؤلاء يقيسون الخالق على المخلوق ، ويشبهون قيوم السماوات والأرض ، أحكم الحاكمين ، وأعدل العادلين ، الرؤوف الرحيم بأولئك الحكام الظالمين ، والمتسلطين المتجبرين الذين لا يأبهون لمصالح الرعية ، ويجعلون بينهم وبين الرعية حجباً وأستاراً ، فلا يمكنها أن تصل إليهم إلا بوسائط ووسائل ، ترضي هذه الوسائط بالرشاوى والهبات ، وتخضع لها وتتذلل ، وتترضاها وتقرب إليها ، فهل خطر ببالهم أنهم حين يفعلون ذلك يذمون ربهم ، ويطعنون به ، ويؤذونه ، ويصفونه بما يمقته وما يكرهه؟

تُرى لو كان يمكن لأحد الناس أن يخاطب الحاكم وجهاً لوجه ، ويكلمه دون واسطة أو حجاب أيكون ذلك أكمل وأمدح له ، أم حين لا يتمكن من مخاطبته إلا من خلال وسائط قد تطول وقد تقصر؟

الشبهة التاسعة:

**قصة أبي جعفر المنصور مع الإمام مالك عند
الحجرة النبوية مكذوبة لا تصح:**

يُروى عن الإمام مالك بن أنس / قصة مع أبي جعفر المنصور العباسي يعتقد الصوفية أنها تؤيد احتجاجاتهم بتوسلاتهم بذوات المخلوقين ، وفيها أن أبا جعفر سأل مالكا فقال: « يا أبا عبد الله ، أستقبل القبلة وأدعو ، أم أستقبل رسول الله ؟ فقال: « ولم تصرف وجهك عنه ، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الله تعالى يوم القيامة ؛ بل استقبله واستشفع به ، فيشفعه الله .»

**الشبهة الرابعة عشرة: الحكايات
المنقولة عن الإمام الشافعي / أنه كان
يقصد الدعاء عند قبر الإمام أبي حنيفة /
مكذوبة لا تصح:** فهذه القصة أكذوبة من أكذوبات
القبوريين ، وليس لها أي سند صحيح يُعتضد به.

الفصل الخامس

اتخاذ القبور مساجد

أحاديث النهي عن اتخاذ القبور مساجد:

١- عَنْ عَائِشَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ، قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: « لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ ». قَالَتْ: « وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأَبْرَزُوا قَبْرَهُ غَيْرَ أَنِّي أَخْشَى أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا » (رواه البخاري).

وفي رواية للبخاري عنها : « لَوْلَا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ - أَوْ خَشِيَ - أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا ».

(لَوْلَا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ): أي كشف قبره ولم يُتخذ

عليه الحائل ، والمراد دُفِنَ خارج بيته.

٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: « قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ ». (رواه البخاري ومسلم).

٣- عن عائشة ، وَعَبَدَ اللهُ بِنِ عَبَّاسٍ قَالَا:
 « لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللهِ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى
 وَجْهِهِ ، فَإِذَا اغْتَمَّ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ:
 « لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ
 مَسَاجِدَ » يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا . (رواه البخاري ومسلم).
 (لَمَّا نَزَلَ) أَيِ الْمَوْتِ . (طَفِقَ) أَيِ جَعَلَ . (الْخَمِيصَةُ)
 كِسَاءٌ لَهُ أَعْلَامٌ .

قال الحافظ ابن حجر: « وَكَانَهُ عِلْمٌ أَنَّهُ مُرْتَحِلٌ
 مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ فَخَافَ أَنْ يُعْظَمَ قَبْرُهُ كَمَا فَعَلَ مَنْ
 مَضَى فَلَعَنَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ؛ إِشَارَةً إِلَى ذَمِّ مَنْ يَفْعَلُ
 فِعْلَهُمْ » .

٤- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَمَّا اشْتَكَى النَّبِيُّ
 ذَكَرَتْ بَعْضَ نِسَائِهِ كَنِيْسَةً رَأَيْنَهَا بِأَرْضِ الْحَبْشَةِ يُقَالُ لَهَا:
 مَارِيَّةُ ، وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَأُمُّ حَبِيْبَةَ أَتَتْهَا أَرْضِ الْحَبْشَةِ ،
 فَذَكَرْتَا مِنْ حُسْنِهَا وَتَصَاوِيرِ فِيهَا ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ:
 « أَوْلَيْكَ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ

مَسْجِدًا ، ثُمَّ صَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَةَ ، أَوْلَيْكَ شِرَارُ
الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (رواه البخاري ومسلم).

قال الحافظ ابن رجب: « هذا الحديث يدل على تحريم
بناء المساجد على قبور الصالحين ».

٥- عن جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ
النَّبِيَّ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ: « إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى
اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ
اتَّخَذَنِي خَلِيلًا ، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ، وَلَوْ كُنْتُ
مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ، أَلَا وَإِنَّ
مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ
مَسَاجِدَ ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ ، إِنِّي أَنهَاكُمُ
عَنْ ذَلِكَ # (رواه مسلم).

قال الإمام النووي: « مَعْنَى (أَبْرَأُ) أَي أَمْتَعُ مِنْ هَذَا
وَأَنْكِرُهُ ، وَ(الْخَلِيل) هُوَ الْمُنْقَطِعُ إِلَيْهِ ، وَقِيلَ: الْمُخْتَصُّ
بِشَيْءٍ دُونَ غَيْرِهِ ، قِيلَ: هُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْخَلَّةِ - بِفَتْحِ الْخَاءِ -
وَهِيَ الْحَاجَةُ ، وَقِيلَ: مِنَ الْخَلَّةِ - بِضَمِّ الْخَاءِ - وَهِيَ تَخَلُّ
الْمَوَدَّةِ فِي الْقَلْبِ ، فَفَعَى أَنْ تَكُونَ حَاجَتُهُ وَانْقِطَاعُهُ

إِلَى غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى. قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّمَا نَهَى النَّبِيُّ عَنْ اتِّخَاذِ قَبْرِهِ وَقَبْرِ غَيْرِهِ مَسْجِدًا خَوْفًا مِنَ الْمُبَالِغَةِ فِي تَعْظِيمِهِ وَالْإِفْتِتَانِ بِهِ ، فَرُبَّمَا أَدَّى ذَلِكَ إِلَى الْكُفْرِ كَمَا جَرَى لِكَثِيرٍ مِنَ الْأُمَّمِ الْحَالِيَةِ .»

٦- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: « إِنَّ مِنْ شَرِّ أَرْبَابِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ ، وَمَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ .» (رواه الإمام أحمد وغيره ، وصححه الألباني).

: ? ?? ?

١- الصلاة على القبور ، بمعنى السجود عليها.

٢- السجود إليها واستقبالها بالصلاة والدعاء.

٣- بناء المساجد عليها ، وقصد الصلاة فيها.

وبكل واحد من هذه المعاني قال طائفة من العلماء ، وجاءت بها نصوص صريحة عن سيد الأنبياء . والنهي عن بناء المساجد على القبور يستلزم النهي عن الصلاة فيها ، من باب أن النهي عن الوسيلة يستلزم النهي عن المقصود

بها والتوسل بها إليه ، مثاله: إذا نهى الشارع عن بيع الخمر ، فالنهى عن شربه داخل في ذلك ، كما لا يخفى ، بل النهي عنه من باب أولى.

ومن البيّن جداً أن النهي عن بناء المساجد على القبور ليس مقصوداً بالذات ، كما أن الأمر ببناء المساجد في الدور والمحلات ليس مقصوداً بالذات ، بل ذلك كله من أجل الصلاة فيها ، سلباً أو إيجاباً ، فإذا أمر الشارع ببناء المساجد فهو يأمر ضمناً بالصلاة فيها ، لأنها هي المقصودة بالبناء ، وكذلك إذا نهى عن بناء المساجد على القبور ، فهو ينهى ضمناً عن الصلاة فيها ؛ لأنها هي المقصودة بالبناء أيضاً ، وهذا بيّن لا يخفى على العاقل إن شاء الله عزَّوَجَلَّ.

اتخاذ المساجد على القبور من الكبائر:

إن كل من يتأمل في تلك الأحاديث الكريمة يظهر له بصورة لا شك فيها أن اتخاذ المذكور محرم ، بل كبيرة من الكبائر ؛ لأن اللعن الوارد فيها ، ووصف المخالفين بأنهم من شرار الخلق عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا يمكن أن يكون في حق من يرتكب ما ليس كبيرة كما لا يخفى.

وقد اتفقت المذاهب الأربعة على تحريم ذلك ، ومنهم من صرح بأنه كبيرة.

شبهات وجوابها:

الشبهة الأولى: قوله تعالى: (قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ

أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا) (الكهف: ٢١) ، قالوا: وجه دلالة الآية على ذلك: أن الذين قالوا هذا القول كانوا نصارى ، على ما هو مذكور في كتب التفسير ، فيكون اتخاذ المسجد على القبر من شريعتهم ، وشريعة من قبلنا شريعة لنا إذا حكاها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، ولم يعقبها بما يدل على ردها كما في هذه الآية الكريمة.

الجواب:

أولاً: إن الصحيح المتقرر في علم الأصول أن شريعة من قبلنا ليست شريعة لنا لأدلة كثيرة ، منها قوله : « أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِّنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي : نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِّنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتَهُ الصَّلَاةُ فَلْيَصِلْ ، وَأَحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ،

وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ » (أخرج به البخاري ومسلم) ، فإذا تبين هذا فلسنا ملزمين بالأخذ بها في الآية لو كانت تدل على أن جواز بناء المسجد على القبر كان شريعة لمن قبلنا !

ثانياً: هَبْ أن الصواب قول من قال: « شريعة من قبلنا شريعة لنا » فذلك مشروط عندهم بما إذا لم يَرِدْ في شرعنا ما يخالفه ، وهذا الشرط معدوم هنا ؛ لأن الأحاديث تواترت في النهي عن بناء المساجد على القبور ، فذلك دليل على أن ما في الآية ليس شريعةً لنا.

ثالثاً: لا نسلّم أن الآية تفيد أن ذلك كان شريعة لمن قبلنا ، غاية ما فيها أن جماعة من الناس قالوا: (لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا) ، فليس فيها التصريح بأنهم كانوا مؤمنين ، وعلى التسليم فليس فيها أنهم كانوا مؤمنين صالحين ، متمسكين بشريعة نبي مُرْسَلٍ ، بل الظاهر خلاف ذلك ، وهو قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي قِصَّةِ أَصْحَابِ الْكُهْفِ: (قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا) فجعل

اتخاذ القبور على المساجد من فعل أهل الغلبة على الأمور ،
وذلك يُشعر بأن مستنده القهر والغلبة واتباع الهوى وأنه
ليس من فعل أهل العلم والفضل المنتصر لما أنزل الله
عَزَّوَجَلَّ على رسله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من الهدى .

**الشبهة الثانية: كَوْن قبر النبي ص في
مسجده الشريف ، ولو كان ذلك لا يجوز لما
دفنوه في مسجده !**

والجواب: أن هذا وإن كان هو المُشاهد اليوم ، فإنه
لم يكن كذلك في عهد الصحابة ، فإنهم لما مات
النبي دفنوه في حجرته التي كانت بجانب مسجده ،
وكان يفصل بينهما جدار فيه باب ، كان النبي يخرج
منه إلى المسجد ، وهذا أمر معروف مقطوع به عند العلماء ،
ولا خلاف في ذلك بينهم .

والصحابة حينما دفنوه في الحجرة ، إنما
فعلوا ذلك كي لا يتمكن أحد بعدهم من اتخاذ قبره
مسجداً ، كما سبق بيانه في حديث عائشة وغيره ، ولكن
وقع بعدهم ما لم يكن في حسابهم !

ذلك أن الوليد بن عبد الملك أمر سنة ثمان وثمانين
بهدم المسجد النبوي وإضافة حُجْر أزواج رسول الله
إليه ، فأدخل فيه الحجرة النبوية حجرة عائشة ،
فصار القبر بذلك في المسجد ، ولم يكن في المدينة أحد من
الصحابة حينذاك .

فالحجرة إنما أدخلت في المسجد في خلافة الوليد بن
عبد الملك ، بعد موت عامة الصحابة الذين كانوا بالمدينة ،
وكان آخرهم موتاً جابر بن عبد الله ، وتوفي في خلافة عبد
الملك ، فإنه توفي سنة ثمان وسبعين ، والوليد تولى سنة ست
وثمانين ، وتوفي سنة ست وتسعين ، فكان بناء المسجد
وإدخال الحجرة فيه فيما بين ذلك .

فلا يجوز لمسلم أن يحتج بما وقع بعد الصحابة ؛
لأنه مخالف للأحاديث الصحيحة وما فهم الصحابة
والأئمة منها ، وهو مخالف أيضاً لصنيع عمر وعثمان
حين وسَّعا المسجد ولم يُدْخِلَا القبر فيه ، ولهذا نقطع بخطأ
ما فعله الوليد بن عبد الملك - عفا الله عنه - ، ولئن كان

مضطراً إلى توسيع المسجد ، فإنه كان باستطاعته أن يوسعه من الجهات الأخرى دون أن يتعرض للحجرة الشريفة .
ومع هذه المخالفة الصريحة للأحاديث المتقدمة وسنة الخلفاء الراشدين ، فإن المخالفين لما أدخلوا القبر النبوي في المسجد الشريف احتاطوا للأمر شيئاً ما ، فحاولوا تقليل المخالفة ما أمكنهم حيث بنوا على القبر حيطاناً مُرْتَفِعَةً مُسْتَدِيرَةً حَوْلَهُ لئَلَّا يَظْهَرَ فِي الْمَسْجِدِ فَيُصَلِّيَ إِلَيْهِ الْعَوَامُّ وَيُؤَدِّي الْمَحْذُورَ ثُمَّ بَنَوْا جِدَارَيْنِ مِنْ رُكْنَيْ الْقَبْرِ الشَّمَالِيِّينِ وَحَرَّفُوهُمَا حَتَّى التَّقْيَا حَتَّى لَا يَتِمَّكَنَ أَحَدٌ مِنْ اسْتِقْبَالِ الْقَبْرِ .

الشبهة الثالثة: أن النبي صلى في مسجد

الخياف وقد ورد في الحديث أن فيه قبر سبعين نبياً!

الجواب: لا شك في صلاته في هذا المسجد ،

ولكن ما ذُكِرَ في الشبهة من أنه دفن فيه سبعون نبياً لا حجة فيه لأن الحديث المشار إليه لا يصح .

الشبهة الرابعة: ما ذُكِرَ في بعض الكتب أن قبر إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وغيره في الحِجْر من المسجد الحرام ، وهو أفضل مسجد يتحرى المصلى فيه.

الجواب:

لم يثبت أن إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ أو غيره من الأنبياء الكرام عَلَيْهِمُ السَّلَامُ دُفِنُوا في المسجد الحرام ، ولم يَرِدْ شيء من ذلك في كتاب من كتب السنة المعتمدة.

الشبهة الخامسة:

قصة بناء أبي جندل مسجداً على قبر أبي بصير في عهد النبي .

الجواب:

هذه القصة لا تثبت ؛ لأنها ليس لها إسناد تقوم الحجة به.

الْفَضِيلَةُ السَّائِرَةُ

شد الرحال لزيارة القبور

لا يجوز السفر لزيارة القبور ؛ لأن هذا السفر بدعة ، لم يكن في عصر السلف ، ولأن في الصحيحين عن النبي قال: « لَا تُشَدُّ الرَّحَالَ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هَذَا ، وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى ». (رواه البخاري ومسلم).

وهذا النهي يعم السفر إلى المساجد والمشاهد ، وكل مكان يقصد السفر إلى عينه للتقرب ، بدليل أن بَصْرَةَ بَنِ أَبِي بَصْرَةَ الْغِفَارِيِّ ، لما رأى أبا هريرة راجعاً من الطور الذي كلم الله عليه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: « لَوْ أَدْرَكْتُكَ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ مَا خَرَجْتَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: « لَا تَعْمَلُ الْمَطِيئُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَإِلَى مَسْجِدِي هَذَا ، وَإِلَى مَسْجِدِ إِبِلْيَاءَ ، أَوْ بَيْتِ الْمُقَدِّسِ ». (رواه مالك في الموطأ بإسناد صحيح).

المَطِيَّة من الدَّوَابِّ: ما يُرْكَب ويمتطى كالبعير والناقة.
والجمع: مَطِيَّات ومَطَايَا ومَطِيَّي. ويقال: اتَّخَذَهُ مَطِيَّةً لِبَلُوغِ
مَآرِبِهِ: أي جعله وسيلة. (لَا تُعْمَلُ الْمَطِيَّةُ): هُوَ تَسْيِيرُهَا
وَالسَّفَرُ عَلَيْهَا لِأَنَّ ذَلِكَ عَمَلُهَا الْمَقْصُودُ مِنْهَا.

فقد فهم الصحابي الذي روى الحديث ، أن الطور -
وأمثاله من مقامات الأنبياء - مندرجة في العموم ، وأنه لا
يجوز السفر إليها ، كما لا يجوز السفر إلى مسجد غير المساجد
الثلاثة. وأيضاً فإذا كان السفر إلى بيت من بيوت الله - غير
الثلاثة - لا يجوز ، مع أنه قد جاء في قصد المساجد من
الفضل ما لا يُحصى - فالسفر إلى بيوت الموتى من عباده أولى
أن لا يجوز.

ونفس السفر لزيارة قبر من القبور - قبر نبي أو غيره
- منهيٌّ عنه عند جمهور العلماء حتى أنهم لا يجوزون قَصْرَ
الصلاة فيه بناء على أنه سفر معصية لقوله الثابت في
الصحيحين: « لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ:
مَسْجِدِي هَذَا ، وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى ».
والنبي هو أعلم الناس بمثل هذه المسألة.

وهذا الحديث مما اتفق الأئمة على صحته والعمل به فلو نذر الرجل أن يشد الرحل ليصلى بمسجد أو مشهد أو يعتكف فيه أو يسافر إليه غير هذه الثلاثة لم يجب عليه ذلك باتفاق الأئمة. ولو نذر أن يسافر ويأتي المسجد الحرام لِحَجِّ أو عمرةٍ وجبَ عليه ذلك باتفاق العلماء.

وأما السفر إلى بقعة غير المساجد الثلاثة فلم يُوجب أحد من العلماء السفر إليه إذا نذره حتى نصَّ العلماء على أنه لا يسافر إلى مسجد قباء ؛ لأنه ليس من المساجد الثلاثة.

والسفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أمرَ بها رسولُ الله ولا استحَبَّ ذلك أحدٌ من أئمة المسلمين - فيما نعلم - فمن اعتقد ذلك عبادة وفعله فهو مخالف للسنة ولإجماع الأئمة. وهذا مما ذكره أبو عبد الله بن بطة في (الإبانة الصغرى) من البدع المخالفة للسنة والإجماع.

الرد على الشبهات:

الشبهة الأولى: احتج بعض المتأخرين على جواز

السفر لزيارة القبور بأن النبي كان يزور مسجد قباء.

الجواب:

أَنَّ زِيَارَةَ مَسْجِدِ قَبَاءَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ، خَالِيَةٌ مِنْ شَدِّ الرَّحَالِ (أَيِ السَّفَرِ) لِقُرْبِهِ . وَهِيَ مُسْتَحَبَّةٌ مَسْنُونَةٌ لَهُمْ ، اقْتِدَاءً بِفِعْلِ النَّبِيِّ ، وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ يَأْتِيهِ - لِقُرْبِهِ - مَاشِيًا وَرَاكِبًا . فَعَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : «كَانَ النَّبِيُّ يَأْتِي مَسْجِدَ قَبَاءَ كُلِّ سَبْتٍ ، مَاشِيًا وَرَاكِبًا» ، قَالَ نَافِعٌ : « وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ يَفْعَلُهُ » (رواه البخاري ومسلم). بَلْ قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ : « كُنَّا نَصَلِي الْعَصْرَ ، ثُمَّ يَذْهَبُ الذَّاهِبُ مِنَّا إِلَى قَبَاءَ ، فَيَأْتِيهِمْ وَالشَّمْسُ مُرْتَفِعَةٌ » (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ).

وَمَحَلُّ النَّزَاعِ فِي شَدِّ الرَّحْلِ لِزِيَارَةِ مَسْجِدِ غَيْرِ الْمَسَاجِدِ

الثلاثة.

فمسجد قباء يستحب زيارته لمن كان في المدينة ؛ لأن

ذلك ليس بشد رحل (ليس بسفر) كما في الحديث الصحيح

أن النبي قال: « صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِ قُبَاءَ كَعُمْرَةٍ » (رواه ابن ماجه ، وصححه الألباني). وقال رسول الله : « مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ أَتَى مَسْجِدَ قُبَاءَ ، فَصَلَّى فِيهِ صَلَاةً ، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ عُمْرَةٍ » (رواه ابن ماجه ، وصححه الألباني).

وقوله : « مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ أَتَى مَسْجِدَ قُبَاءَ » تنبيه على أنه لا يُشْرَعُ قَصْدُهُ بِشَدِّ الرَّحَالِ ، بل إنما يأتيه الرجل من بيته الذي يصلح أن يتطهر فيه ، ثم يأتيه فيقصد كما يقصد الرجل مسجد بلده دون المساجد التي يسافر إليها. وبهذا يظهر بطلان هذه الشبهة ؛ لأن زيارة النبي لمسجد قباء لم تكن بشد رحل.

الشبهة الثانية:

إن حديث: \$ لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هَذَا ، وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى # لم يتناول النهي عن السفر لزيارة المقابر ، كما لم يتناول النهي عن السفر إلى الأمكنة التي فيها الوالدان ، والعلماء والمشايخ ، والإخوان ، أو بعض المقاصد ، من الأمور الدنيوية المباحة.

الجواب: المسافر إلى طلب العلم أو التجارة أو زيارة قريبه ليس مقصوده مكاناً معيناً إلا بالعرض إذا عرف أن مقصوده فيه ، (فهو لا يقصد المكان لذاته ، بل يقصده لأن حاجته فيه ، فلولا أن قريبه - مثلاً - في هذا المكان ما ذهب إلى هذا المكان أصلاً ، ولولا أن العالم الفلاني يُدّرس العلم في المسجد الفلاني - مثلاً - ما سافر إلى هذا المسجد أصلاً ، فهو لم يسافر لاعتقاده فضيلة للمسجد بل سافر لتلقي العلم) ، ولو كان مقصوده في غير هذا المكان لذهب إليه ؛ فالسفر إلى مثل هذا لم يدخل في الحديث باتفاق العلماء وإنما دخل فيه من يسافر لمكان معين لفضيلة ذلك بعينه.

زيارة المسجد النبوي ، والسلام على الرسول :

ليست زيارة مسجد الرسول واجبة ، ولكن إذا أراد المسلم السفر إلى المدينة المنورة من أجل الصلاة في مسجده فذلك سنة ، وإذا دخلت مسجده فابدأ بالصلاة ثم ائت قبر النبي ، فقل: « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، صلى الله عليك وعلى آلك

وأصحابك » ، وأكثر من الصلاة والسلام عليه ؛ لما ثبت من قوله : « وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ » ثم سلّم على أبي بكر وعمر ، وترضّ عنهما ، ولا تتمسح بالقبر ، ولا تدعُ عنده ، بل انصرف وادعُ الله حيث شئت من المسجد وغيره .

فزيارة قبر الرسول ليست واجبة ، بل هي سنة بالنسبة لمن لم يتوقف ذلك منه على سفر كزيارة سائر قبور المسلمين ، وذلك للعبرة والاعتاظ وتذكر الآخرة بزيارتها ، وقد زار النبي القبور وحث على زيارتها لذلك لا للتبرك بها ولا لسؤال من فيها من الموتى قضاء الحاجات وتفريج الكربات كما يفعل ذلك كثير من المبتدعة رجالاً ونساءً .

أما إذا توقفت زيارة قبر الرسول أو غيره على سفر فلا يجوز ذلك من أجلها ؛ لما ثبت عن النبي أنه قال : « لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ : مَسْجِدِي هَذَا ، وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى » (رواه البخاري ومسلم).

روى عبد الرزاق في مصنفه وابن أبي شيبة وأبو يعلى
 عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَجِيءُ إِلَى فُرْجَةِ
 كَانَتْ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ، فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَدْعُو ، فَهَاهُ ،
 فَقَالَ : « أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي ، عَنْ جَدِّي -
 يعني علي بن أبي طالب - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ قَالَ :
 « لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا ، وَلَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا ،
 وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَصَلُّوا عَلَيَّ ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي » (قال
 السخاوي: « وهو حديث حسن »).

الفصل السابع

الحلف بغير الله سبحانه وتعالى

لا يجوز الحلف بشيء من المخلوقات لا بالنبى ولا بالكعبة ولا بالأمانة ولا غير ذلك في قول جمهور أهل العلم. بل حكاه بعضهم إجماعاً. وقد روي خلاف شاذ في جوازه بالنبى وهو قول لا وجه له بل هو باطل ، وخلاف لما سبقه من إجماع أهل العلم وخلاف للأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك.

ومنها ما رواه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله : « مَنْ حَلَفَ مِنْكُمْ ، فَقَالَ فِي حَلْفِهِ: بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى ، فَلْيُقْل: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » (رواه البخاري ومسلم). ووجه ذلك أن الحالف بغير الله قد أتى بنوع من الشرك فكفارة ذلك أن يأتي بكلمة التوحيد عن صدق وإخلاص ليكفر بها ما وقع منه من الشرك.

وقال : « مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ ». وَفِي رِوَايَةٍ: « مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ » (رواه الإمام أحمد، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، والألباني).

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ أَدْرَكَ عُمَرَ ابْنَ الْخَطَّابِ فِي رَكْبٍ وَهُوَ يَحْلِفُ بِأَبِيهِ ، فَنَادَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ : « أَلَا ، إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ ، أَوْ لِيَصُمْتُ » (رواه البخاري ومسلم).
وزاد مسلم قول عمر بن الخطاب : « فَوَاللَّهِ مَا حَلَفْتُ بِهَا مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ نَهَى عَنْهَا ذَاكِرًا وَلَا آثِرًا ». (ذَاكِرًا): قَائِلًا لَهَا مِنْ قَبْلِ نَفْسِي ، (وَلَا آثِرًا) أَي: حَالِفًا عَنْ غَيْرِي.

قال الإمام النووي / : « قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْحِكْمَةُ فِي النَّهْيِ عَنِ الْحَلْفِ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّ الْحَلْفَ يَقْتَضِي تَعْظِيمَ الْمَحْلُوفِ بِهِ وَحَقِيقَةَ الْعِظَمَةِ مُخْتَصَّةٌ بِاللَّهِ تَعَالَى فَلَا يُضَاهَى بِهِ غَيْرُهُ ، وَقَدْ جَاءَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: « لَأَنَّ أَحْلِفَ بِاللَّهِ مِائَةً مَرَّةً فَاتَمَّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ فَأَبْرَ » ، ... وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ إِبَاحَةُ الْحَلْفِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ كُلِّهَا وَهَذَا مُجْمَعٌ

عَلَيْهِ ، وَفِيهِ النَّهْيُ عَنِ الْحَلْفِ بِغَيْرِ أَسْمَائِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
وَصِفَاتِهِ».

قال المناوي في (فيض القدير) عند شرح هذا الحديث:
« وتخصيص الآباء خرج على مقتضى العادة ، وإلا فحقيقة
النهي عامة في كل مُعْظَم غير الله ».

وقال : « مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا » (رواه
أبو داود ، وصححه الألباني). وقال : « لَا تَحْلِفُوا
بِآبَائِكُمْ ، وَلَا بِأُمَّهَاتِكُمْ ، وَلَا بِالْأَنْدَادِ ، وَلَا تَحْلِفُوا إِلَّا
بِاللَّهِ ، وَلَا تَحْلِفُوا بِاللَّهِ إِلَّا وَأَنْتُمْ صَادِقُونَ » (رواه أبو داود
والنسائي ، وصححه الألباني).

قال الإمام ابن عبد البر / : « والحلف بالمخلوقات
كلها في حكم الحلف بالآباء لا يجوز شيء من ذلك » ، ثم
حكى الإجماع في تحريم الحلف بغير الله.

وقد ورد النهي عن النبي عن الحلف بالكعبة ،
فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ قُتَيْبَةَ ، امْرَأَةٍ مِنْ جُهَيْنَةَ : أَنَّ
يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ فَقَالَ : « إِنَّكُمْ تَنْدُدُونَ ، وَإِنَّكُمْ

تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ: « مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ » ، وَتَقُولُونَ:
« وَالْكَعْبَةَ ».

فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا:
« وَرَبِّ الْكَعْبَةِ » ، وَيَقُولُوا: « مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ شِئْتَ »
(رواه النسائي والحاكم ، وقال : « صحيح الإسناد » ،
وصححه الألباني).

وقد وَرَدَ عَنِ الصَّحَابَةِ اسْتِنكَارُ الْحَلْفِ بِغَيْرِ
اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي
(مُصَنَّفَيْهِمَا) ، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي (المعجم الكبير) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: « لَأَنْ أَحْلِفَ بِاللَّهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ
أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا ».

(قال الهيثمي في مجمع الزوائد: « رواه الطبراني في
(الكبير) ورجاله رجال الصحيح » ، وصححه الألباني).

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ فَحَلَفَ
رَجُلٌ بِالْكَعْبَةِ ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: « وَيْحَكَ لَا تَفْعَلْ ، فَإِنِّي
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: « مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ

أَشْرَكَ « (رواه ابن حبان ، وصححه الألباني ، وقال الأرئؤوط: «إسناده صحيح على شرط مسلم»).

والحلف بغير الله من الشرك الأصغر ، وقد يكون شرًا أكبر إذا قام بقلب الحالف أن هذا المحلوف به يستحق التعظيم كما يستحقه الله ، أو أنه يجوز أن يعبد مع الله ونحو ذلك من المقاصد الكفرية.

فإذا كان الحالف معظّمًا لما يحلف به من دون الله كتعظيم الله أو أشد كان الحلف شرًا أكبر ، كمن يقال له: « احلف بالله » ، يحلف كاذبًا ، فإذا قيل له: « احلف بالشيخ الفلاني » ، أقر واعترف ، وخاف أن يحلف به كذبًا.

ولا يجوز لمسلم أن يطلب من أحد أن يحلف بغير الله ، ولو كان كافرًا ، لا بالمسيح ولا غيره ؛ لقول النبي :
« لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ ، مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصِدُقْ ، وَمَنْ حَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرِضْ ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللَّهِ ، فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ » . (رواه ابن ماجه وصححه الألباني).

شبهات وجوابها:

الشبهة الأولى:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ،
فَقَالَ: « يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ » ، فَقَالَ:
« أَمَا وَأَبِيكَ لَتُنَبَّأَنَّهُ ، أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَاحِبُ شَحِيحٍ ،
تَخْشَى الْفَقْرَ ، وَتَأْمُلُ الْبَقَاءَ ، وَلَا تُمَهِّلُ حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ
الْحُلُقُومَ ، قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا ، وَلِفُلَانٍ كَذَا ، وَقَدْ كَانَ
لِفُلَانٍ » (رواه مسلم).

وعن طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرُ الرَّأْسِ ، نَسَمِعُ دَوِيَّ
صَوْتِهِ ، وَلَا نَفْقَهُ مَا يَقُولُ حَتَّى دَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ،
فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « خَمْسُ
صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ ، وَاللَّيْلَةِ » فَقَالَ: « هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُنَّ؟ » ،
قَالَ: « لَا ، إِلَّا أَنْ تَطَّوَعَ ، وَصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ » ، فَقَالَ:
« هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ » ، فَقَالَ: « لَا ، إِلَّا أَنْ تَطَّوَعَ » ، وَذَكَرَ لَهُ
رَسُولُ اللَّهِ الزَّكَاةَ ، فَقَالَ: « هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ » ، قَالَ:
« لَا ، إِلَّا أَنْ تَطَّوَعَ » .

قَالَ: فَادْبَرَ الرَّجُلُ ، وَهُوَ يَقُولُ: « وَاللَّهِ ، لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا ، وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُ » ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ » (رواه مسلم).

وفي رواية عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْهُ بَلْفَظٍ: « أَفْلَحَ ، وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ ، أَوْ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ » (رواه مسلم).

الجواب:

أولاً: قال الإمام النووي /: « جَوَابُهُ أَنْ قَوْلُهُ : « أَفْلَحَ وَأَبِيهِ » لَيْسَ هُوَ حَلْفًا إِنَّمَا هُوَ كَلِمَةٌ جَرَتْ عَادَةٌ الْعَرَبِ أَنْ تُدْخِلَهَا فِي كَلَامِهَا غَيْرَ قاصِدَةٍ بِهَا حَقِيقَةَ الْحَلْفِ ، وَالنَّهْيِ إِنَّمَا وَرَدَ فِيمَنْ قَصَدَ حَقِيقَةَ الْحَلْفِ لِمَا فِيهِ مِنْ إِعْظَامِ الْمَحْلُوفِ بِهِ وَمُضَاهَاةِ بِهِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، فَهَذَا هُوَ الْجَوَابُ الْمُرْضِيُّ ، وَقِيلَ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا قَبْلَ النَّهْيِ عَنِ الْحَلْفِ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى .»

وقال الإمام النووي أيضاً: « قَوْلُهُ : « أَمَا وَأَبِيكَ لَتُنَبَّأَنَّه » قَدْ يُقَالُ: حَلَفَ بِأَبِيهِ وَقَدْ نَهَى عَنِ الْحَلْفِ بِغَيْرِ اللَّهِ وَعَنِ الْحَلْفِ بِالْآبَاءِ ، وَالْجَوَابُ: أَنَّ النَّهْيَ عَنِ الْيَمِينِ بِغَيْرِ

اللَّهِ لِمَنْ تَعَمَّدَهُ ، وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ الْوَاقِعَةُ فِي الْحَدِيثِ تَجْرِي عَلَى
اللِّسَانِ مِنْ غَيْرِ تَعَمُّدٍ فَلَا تَكُونُ يَمِينًا وَلَا مَنْهِيًّا عَنْهَا .»

ثانيًا: قال المارودي والسهيلي - وعليه أكثر الشراح
وأيده ابن العربي المالكي - إن الحلف بالآباء كان في أول
الإسلام ثم نسخ بعد ذلك.

وهذا القول هو الحق إن شاء الله تعالى ؛ لأن الحلف
بالآباء كان شائعًا في الجاهلية وصدر الإسلام كالعادات
الأخرى مثل شرب الخمر ، فنهى الإسلام عن هذه
العادات بالتدرج ومنها الحلف بغير الله ، والدليل على ذلك
حديث ابنِ عُمَرَ أَنَّهُ أَدْرَكَ عُمَرَ ابْنَ الْخَطَّابِ فِي رَكْبٍ
وَهُوَ يَخْلِفُ بِأَبِيهِ ، فَنَادَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ : « أَلَا ، إِنَّ اللَّهَ
يَنْهَاكُمْ أَنْ تَخْلِفُوا بِآبَائِكُمْ ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيُحْلِفْ
بِاللَّهِ ، وَإِلَّا فَلْيَصْمُتْ » (رواه البخاري ومسلم).

قال الحافظ ابن حجر: « فَإِنْ قِيلَ : مَا الْجَامِعُ بَيْنَ هَذَا
وَبَيْنَ النَّهْيِ عَنِ الْحَلْفِ بِالْآبَاءِ؟ أُجِيبَ بِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ قَبْلَ
النَّهْيِ أَوْ بِأَنَّهَا كَلِمَةٌ جَارِيَةٌ عَلَى اللِّسَانِ لَا يُقْصَدُ بِهَا
الْحَلْفُ .»

الشبهة الثانية:

إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَقْسَمَ ببعض المخلوقات! كقوله تَعَالَى: (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا) (الشمس: ١) ، وقوله تَعَالَى: (لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ) (البلد: ١) وقوله تَعَالَى: (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى) (الليل: ١) وما أشبه ذلك من المخلوقات التي أقسم الله بها.

الجواب:

أولاً: هذا من فعل الله عَزَّوَجَلَّ والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يُسأل عما يفعل ، وله أن يقسم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بما شاء من خلقه ، وهو سائل غير مسؤول وحاكم غير محكوم عليه.
قال الإمام النووي: « فَإِنْ قِيلَ: فَقَدْ أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى بمخلوقاته كقوله تعالى والصفات والذاريات والطور والنجم ، فَالجوابُ: أَنَّ الله تَعَالَى يُقْسِمُ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ تَنْبِيْهَا عَلَى شَرَفِهِ ».

ثانياً: قَسَمَ اللهُ بهذه الآيات دليل على عظمته وكمال قدرته وحكمته ، فيكون القسم بها الدال على تعظيمها ورفع شأنها متضمناً للثناء على الله عَزَّوَجَلَّ بما تقتضيه من

الدلالة على عظمته. أما نحن ، فلا نقسم بغير الله عَزَّوَجَلَّ أو صفاته ، لأننا مَنْهِيُونَ عن ذلك. فالخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له أن يقسم بمن شاء من خلقه ، أما المخلوق فلا يقسم إلا بالخالق عَزَّوَجَلَّ.

قال فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي / : « نعلم أن الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُقَسِّمُ بما يشاء على ما يشاء ، أما نحن فلا نقسم إلا بالله ، وفي الحديث الشريف: « مَنْ كَانَ حَالِفًا ، فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ »^(١).

الشبهة الثالثة: إن الملائكة حلفت بحياة لوط

عَلَيْهِ السَّلَامُ فقالوا: (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) (الحجر: ٧٢) ، قالوا: فهو دليل على جواز حلف المخلوق بالمخلوق.

(١) في تفسير قوله تعالى: (تَأْتِيهِمْ لِقَائِهِمْ رَبُّهُمْ) (النحل: ٦٣). والحديث رواه البخاري ومسلم.

الجواب: هذا الكلام غير صحيح. فالتفسير الصحيح للآية أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقْسِمُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِحَيَاةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَليست الملائكة التي تحلف. والله عَزَّوَجَلَّ يَحْلِفُ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ.

الشبهة الرابعة:

عَنْ خَارِجَةَ بِنِ الصَّلْتِ التَّمِيمِيَّ عَنْ عَمِّهِ قَالَ: أَقْبَلْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ فَأَتَيْنَا عَلَى حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ فَقَالُوا: « إِنَّا أَنْبَأْنَا أَنَّكُمْ جِئْتُمْ مِنْ عِنْدِ هَذَا الرَّجُلِ بِخَيْرٍ فَهَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ دَوَاءٍ أَوْ رُقِيَّةٍ ؛ فَإِنَّ عِنْدَنَا مَعْتُوهَا فِي الْقِيُودِ » ، قَالَ: فَقُلْنَا: « نَعَمْ ». قَالَ فَجَاءُوا بِمَعْتُوهِ فِي الْقِيُودِ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ غُدُوَّةً وَعَشِيَّةً كُلَّمَا خَتَمْتُهَا أَجْمَعُ بُرَاقِي ثُمَّ أَتَفَلُّ ؛ فَكَأَنَّمَا نَشِطَ مِنْ عِقَالٍ ؛ فَأَعْطَوْنِي جُعْلًا ، فَقُلْتُ: « لَا ، حَتَّى أَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ » فَقَالَ: « كُلُّ

فَلَعَمْرِي لَمَنْ أَكَلَ بِرُقِيَّةٍ بَاطِلٍ ، لَقَدْ أَكَلَتْ بِرُقِيَّةٍ حَقٌّ « (١)

(رواه أبو داود ، وصححه الألباني).

وقد صح عن غير واحد من أصحاب النبي قول
(لعمرى) في أحاديث مخرج بعضها في الصحيحين.

الجواب:

أولاً: قياس هذه الكلمة (لعمرى) على قول الإنسان
(وحياتي) قياس مع فارق ، وهو باطل كما هو معروف في
الأصول ؛ لأن الأخيرة معها واحد من حروف القسم التي
هناك إجماع على أنها صريحة في اليمين بخلاف تلك - أي
(لعمرى) - فإن اللام فيه ليست من أدوات القسم.

بل مثل هذه اللفظة تعتبر جرياً على رسم اللغة تُذكر
لتأكيد مضمون الكلام فقط ؛ لأنه أقوى من سائر المؤكدات
وأسلم من التأكيد بالقسم بالله لوجوب البر به. بل هذا

(٢) (مِنْ عِنْدِ هَذَا الرَّجُلِ): أَي الرَّسُولِ . (البُرَاق): مَاءُ الْفَمِ .

(لَمَنْ أَكَلَ بِرُقِيَّةٍ بَاطِلٍ): أَي مِنَ النَّاسِ مَنْ يَأْكُلُ بِرُقِيَّةً بَاطِلًا ، كَذَكَرِ الْكَوَائِبِ
وَالِاسْتِعَانَةِ بِهَا وَبِالْحِنْ . (لَقَدْ أَكَلَتْ بِرُقِيَّةً حَقًّا): أَي بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَكَلَامِهِ .

يجري على ألسنتهم من غير قصد كقولهم: ثكلتك أمك ، بل هو غير معلوم وغير مفهوم من كلام أهل العلم والإيمان وأئمة هذا الشأن أنه يمين ، بل صريح كلامهم نفي هذا وأنه ليس بقسم.

ثانياً: غاية ما في هذه النصوص هو جواز قول هذه الكلمة ، ولا علاقة لهذه الكلمة (لعمرى) بمسألة الحلف بغير الله عَزَّوَجَلَّ ؛ فالنصوص الواردة عن النبي في النهي عن الحلف بغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَعَدَّ ذَلِكَ مِنَ الشَّرْكِ وَالْكَفْرِ إِنَّمَا هِيَ نصوصٌ مُحْكَمَةٌ واضحة الدلالة لا يمكن ردها بوقائع أحوال لا يصح الاستدلال بها أصلاً لمخالفتها لنصوص مُحْكَمَةٌ ، وَيَرِدُ عَلَيْهَا كَثِيرٌ مِنَ الاحتمالات.

فإن أراد القسم منع ، وإلا فلا ، كما يجري على اللسان من الكلام مما لا يُراد به حقيقة معناه.

وللشيخ حماد الأنصاري المدني رسالة باسم (القول المبين في أن لعمرى ليست نصاً في اليمين) .

الفصل الثامن

إحراق الصلاة

على النبي بالأذان

قال الصوفية: أنتم لا تصلون على النبي بعد

الأذان وتنهون المؤذنين عن إعلان الصلاة على النبي على المنائر وبمكبرات الصوت بعد الأذان وتقولون إن ما يفعله المؤذنين بدعة. مع أن النبي قال: « إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ؛ فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ ». (رواه مسلم).

الجواب:

أولاً: هذا أمر منه بالصلاة عليه بعد الأذان ،

وهذا عام يشمل المؤذن وغيره.

ثانيًا: قال النبي : « إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا
مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ » وكلمة (ثم) فيها دليل على أن
الصلاة على النبي ليست من ألفاظ الأذان ؛ لأن
الصلاة على النبي تكون بعد ترديد ما يقوله المؤذن ،
فدل ذلك على أن المؤذن لا يَقُولُهَا.

ثالثًا: هل كان بلال أو ابن أم مكتوم وكل من
كان يؤذن على عهد الرسول يفعلون ما يفعله بعض
المؤذنين في زماننا من رفع الصوت بالصلاة على النبي
بعد الأذان؟ وهل فعل ذلك في عهد أحد من الخلفاء
الراشدين الذين أمرنا بالافتداء بستتهم ، وكذلك
في عهد الأئمة الأربعة وأتباع التابعين أو أحد القرون الثلاثة
المفضلة؟ اللهم لا. ومن قال بخلاف هذا فقد افترى على
الإسلام ودعاته الأوائل.

رابعًا: هل يوجد في صفة الأذان في أي كتاب من كتب
الفقه والحديث المعتمدة ما أحدثه المؤذنون من الصلاة على
النبي على المنائر بعد الأذان؟ اللهم إنه لا يوجد حتى
في كتب الفقهاء المتأخرين. وقد قال : « مَنْ أَحْدَثَ فِي

أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» (رواه البخاري ومسلم).
وكل بدعة في الدين ضلالة في النار.

فكل ما لم يرد عن النبي ولا خلفائه الراشدين
فعله فهو مردود على صاحبه كائناً من كان. ولا توجد بدعة
حسنة وأخرى سيئة في الإسلام.

قال الشيخ سيد سابق في (فقه السنة): «الأذان عبادة
ومدار الأمر في العبادات على الاتباع فلا يجوز لنا أن نزيد
شيئاً أو ننقص شيئاً في ديننا. وفي الحديث الصحيح: «مَنْ
أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» أي باطل.

ونحن نشير هنا إلى أشياء غير مشروعة درج عليها
الكثير حتى خيل للبعض أنها من الدين وليست منه ، من
ذلك:

١- قول المؤذن حين الأذان أو الإقامة: أشهد أن
سيدنا محمداً رسول الله. قال الحافظ ابن حجر: «إنه لا يزداد
ذلك في الكلمات المأثورة».

٢- مسح العينين بباطن أنملي السبابتين بعد تقبيلها عند سماع قول المؤذن أشهد أن محمداً رسول الله .

٣- التغني في الأذان واللحن فيه بزيادة حرف أو حركة أو مد مكروه. فإن أدى إلى تغيير معنى ، أو إبهامٍ محذور ، فهو محرم.

٤- التسييح قبل الفجر: في كتاب تلبس إبليس لعبد الرحمن بن الجوزي: « وقد رأيت من يقوم بليل كثير على المنارة فيعظ ويذكر ويقرأ سورة من القرآن بصوت مرتفع ، فيمنع الناس من نومهم ويخلط على المهجدين قراءتهم ، وكل ذلك من المنكرات » ، وقال الحافظ في الفتح إن ما أحدث من التسييح قبل الصبح وقبل الجمعة ومن الصلاة على النبي ليس من جملة الأذان لا لغة ولا شرعاً.

٥- الجهر بالصلاة والسلام على الرسول عقب عقب الأذان غير مشروع ، بل هو محدث مكروه ، قال ابن حجر في الفتاوى الكبرى: « قد استفتى مشايخنا وغيرهم في

الصلاة والسلام عليه بعد الأذان على الكيفية التي يفعلها المؤذنون ، فأفتوا بأن الأصل سُنَّةٌ ، والكيفية بدعة .»

أما الصلاة على النبي فأتباع النبي أعرف الناس بها وإليك بعض فضائلها من كتاب الله وسنة رسوله :
قَالَ تَعَالَى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)
(الأحزاب: ٥٦) ، قال أبو العالية: « صَلَاةُ اللَّهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ

عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ # . (رواه البخاري). وقال : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا » (رواه مسلم).

وقد قال بعض الفقهاء بوجوب الصلاة عليه كلما ذكر اسمه الشريف ، واستحبوا كتابة الصلاة والسلام عليه كلما ذكر اسمه ^(١).

فضلها ومعناها وكيفيةها ومواضعها

(١) انظر : الصلاة على رسول الله والتحذير من تركها ، للمؤلف.

الفصل التاسع

ذم ما عليه الصوفية

من الغناء والرقص وسماع

المزامير ورفع الأصوات المنكرة

بما يسمونه - زوراً - ذكراً وتهليلاً

سئل الشيخ عطية صقر / : « ما حكم الدين فيما نراه في بعض حلقات الذكر من الضرب بالدفوف والمزامير وغيرها؟ ». فأجاب:

« نقل القرطبي عن أبي بكر الطرطوشي - رحمهما الله تعالى - أنه سئل عن قوم يجتمعون في مكان يقرءون شيئاً من القرآن ، ثم ينشد لهم منشد شيئاً من الشعر فيرقصون ويطربون ويضربون بالدف والشبابة ، هل الحضور معهم حلال أم لا؟

فأجاب: « مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة ، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله ، وأما الرقص

والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم
عجلاً جسداً له خوار قاموا يرقصون حوله ويتواجدون ،
فهو دين الكفار وعباد العجل ، وإنما كان مجلس النبي
مع أصحابه كأنها على رءوسهم الطير من الوقار.

فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعوهم من الحضور في
المساجد وغيرها ، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر
أن يحضر معهم ولا يُعِينُهُمْ على باطلهم.

هذا مذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد
وغيرهم من أئمة المسلمين .»

?? ? :

الشبهة الأولى: قول الله عزَّجَلَّ: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ

اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ) (آل عمران: ١٩١).

الجواب: ليس في الآية دليل على ما زعموه. قال

الإمام الطبري / في تفسير هذه الآية: « ومعنى الآية: إنَّ

في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات
لأولي الألباب ، الذاكرين الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم
يعني بذلك: قيامًا في صلاتهم ، وقعودًا في تشهدهم وفي غير
صلاتهم ، وعلى جنوبهم نيامًا .»

وقال الحافظ ابن كثير: « وصف تعالى أولي الألباب
فقال: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ) كما
ثبت في صحيح البخاري عن عمران بن حصين ، ،
أن رسول الله قال: « صَلَّى قَائِمًا ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ
فَقَاعِدًا ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَىٰ جَنْبٍ » أي: لا يقطعون
ذكره في جميع أحوالهم بسرائرهم وضمايرهم وألستهم .»

الشبهة الثانية:

ما روي عن عليٍّ قال: أتيت النبيَّ وجعفرَ
وزيدَ ، فقال لزيد: « أنت مولاي » فحجل ، وقال لجعفر:
« أنت أشبهت خلقي وخلقي » ، فحجل وراء زيد ، وقال
لي: « أنت مني وأنا منك » فحجلت وراء جعفر. (حجل
الشخص: مشى على إحدى رجليه رافعًا الأخرى).

الجواب: هذا الحديث لا يصح. وإن صح فلا علاقة له بالتمايل عند الذكر لا من قريب ولا من بعيد ، فليس في الحديث أنهم كانوا يذكرون الله عَزَّوَجَلَّ ، بل غاية ما فيه جواز الحجل عند الفرع.

الشبهة الثالثة: أثر لا يثبت:

يستدل الصوفية لجواز الرقص بالذكر بحديث رواه ابن أبي الدنيا عن أبي أراكة قال: « صليت مع عليّ صلاة الفجر ، فلما انفتل عن يمينه مكث كأن عليه كآبة حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح صلى ركعتين ، ثم قلب يده ، فقال:

« والله لقد رأيت أصحاب محمد فما أرى اليوم شيئاً يشبههم ، لقد كانوا يصبحون صُفْرًا شُعْثًا غُبْرًا ، بين أعينهم كأمثال ركب المعزى ، قد باتوا لله سجدًا وقيامًا ، يتلون كتاب الله يترأفون بين جباههم وأقدامهم ، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما يمد الشجر في يوم الريح ، وهملت أعينهم حتى تنبل ثيابهم ، والله لكأنَّ القوم باتوا غافلين ».

الفصل العاشر

الذكر الجماعي

الذكر من أفضل العبادات ، وهو مأمور به شرعاً كما

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾
وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) (الأحزاب: ٤١ ، ٤٢).

فالمسلم مطالب بذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كُلِّ وَقْتٍ
بقلبه ولسانه وجوارحه ، لكن ينبغي للمسلم أن يكون في
ذكره لله عَزَّوَجَلَّ ملتزماً بحدود الشريعة ونصوصها وهدى
النبي ، لأن الاتباع شرط لصحة العمل.

فالذكر عبادة والعبادات توقيفية لا مجال للابتداع فيها
أو للاستحسان ، فلا يجوز التقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ بتشريع
شيء لم يشرعه.

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ : « إِذَا
أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ ، فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ، ثُمَّ اضْطَجِعْ
عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أَسَلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ ،

وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً
إِلَيْكَ ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنَاجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ
بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ ، فَإِنْ مَتَّ
مِنْ لَيْلَتِكَ ، فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ
بِهِ .»

قَالَ: فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ، فَلَمَّا بَلَغْتُ: « اللَّهُمَّ
آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ » ، قُلْتُ: « وَرَسُولِكَ » ، قَالَ:
« لَا ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ # (رواه البخاري ومسلم).

قال الحافظ ابن حجر /: « أَلْفَاظُ الْأَذْكَارِ تَوْقِيفِيَّةٌ
فِي تَعْيِينِ اللَّفْظِ وَتَقْدِيرِ الثَّوَابِ .»

وقال الإمام النووي /: « وَاخْتَارَ الْمَازِرِيُّ وَغَيْرُهُ
أَنَّ سَبَبَ الْإِنْكَارِ أَنَّ هَذَا ذِكْرٌ وَدُعَاءٌ فَيَنْبَغِي فِيهِ الْإِقْتِصَارُ
عَلَى اللَّفْظِ الْوَارِدِ بِحُرُوفِهِ .»

وقال الألباني /: « فِيهِ - أَي فِي هَذَا الْحَدِيثِ - تَنْبِيهُ
قَوِيٌّ عَلَى أَنَّ الْأُورَادَ وَالْأَذْكَارَ تَوْقِيفِيَّةٌ وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ التَّصَرُّفُ
فِيهَا بَزِيَادَةٍ أَوْ نَقْصٍ ، وَلَوْ بِتَغْيِيرِ لَفْظٍ لَا يَفْسُدُ الْمَعْنَى ، فَإِنَّ
لَفْظَ « الرَّسُولِ » أَعْمُ مِنْ لَفْظَةِ « النَّبِيِّ » وَمَعَ ذَلِكَ رَدَّهُ

النبي مع أن البراء قاله سهواً لم يتعمده ! فأين منه أولئك المبتدعة الذين لا يتخرجون من أي زيادة في الذكر أو نقص منه؟».

الذكر الجماعي: هو ما يفعله بعض الناس من الاجتماع في أدبار الصلوات المكتوبة أو في غيرها من الأوقات والأحوال ليرددوا بصوت جماعي أذكاراً وأدعية وأوراداً وراء شخص معين ، أو دون قائد ، لكنهم يأتون بهذه الأذكار في صيغة جماعية وبصوت واحد. والذكر الجماعي لم يأمر به النبي ولا حث عليه ، ولو أمر به أو حث عليه لنقل ذلك ؛ وكذلك لم ينقل عنه الاجتماع للدعاء بعد الصلاة مع أصحابه.

إنكار الصحابة :

روى الدارمي في سننه بسند صحيح (باب ٢٣ ، باب في كراهية أخذ الرأي): أَخْبَرَنَا الْحَكَمُ بْنُ الْمُبَارَكِ ، أَنبَأَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَى ، قَالَ: « سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: « كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَبْلَ صَلَاةِ

الْغَدَاةِ ، فَإِذَا خَرَجَ ، مَشِينَا مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ فَقَالَ: « أَخْرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ » ، قُلْنَا: « لَا ، بَعْدُ » . فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ .

فَلَمَّا خَرَجَ ، قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعًا ، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: « يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ وَلَمْ أَرَ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - إِلَّا خَيْرًا » . قَالَ: « فَمَا هُوَ؟ » ، فَقَالَ: « إِنَّ عِشْتَ فَسْتَرَاهُ » .

قَالَ: « رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمًا حَلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ فِي كُلِّ حَلَقَةٍ رَجُلٌ ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حَصَا ، فَيَقُولُ: « كَبَّرُوا مِائَةً » ، فَيَكْبُرُونَ مِائَةً ، فَيَقُولُ: « هَلَّلُوا مِائَةً » ، فَيَهْلَلُونَ مِائَةً ، وَيَقُولُ: « سَبَّحُوا مِائَةً » ، فَيَسْبِّحُونَ مِائَةً ، قَالَ: « فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ؟ » ، قَالَ: « مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا أَنْتَظَرُ رَأْيِكَ - أَوْ أَنْتَظَرُ أَمْرِكَ » .

قَالَ: « أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ ، وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ » ثُمَّ مَضَى وَمَضِينَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلَقَةً مِنْ تِلْكَ الْحَلَقِ ، فَوَقَّفَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ: « مَا هَذَا الَّذِي

أَرَأَيْكُمْ تَصْنَعُونَ؟» ، قَالُوا: « يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَصًّا نَعُدُّ بِهِ
التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ .» قَالَ: « فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ ، فَأَنَا
ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ ، وَيُحْكَمَ يَا أُمَّةَ
مُحَمَّدٍ ، مَا أَسْرَعَ هَلَكَتِكُمْ ؛ هُوَلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ
مُتَوَافِرُونَ ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبَلْ ، وَأَنْبِيئُهُ لَمْ تُكْسَرْ ، وَالَّذِي
نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ أَوْ
مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلَالَةٍ .»

قَالُوا: « وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ .»
قَالَ: « وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ ، إِنْ رَسُولَ اللَّهِ
حَدَّثْنَا أَنْ قَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ ، وَائِمُّ اللَّهِ مَا
أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ » ، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ . فَقَالَ عَمْرُو بْنُ
سَلَمَةَ: « رَأَيْنَا عَامَّةَ أَوْلِيكَ الْحَلْقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ
الْخَوَارِجِ .»

وكذلك أنكر عمر ، وأنكر أيضًا خباب بن

الأرت

من مفسد الذكر الجماعي:

- ١- مخالفة هدي النبي .
- ٢- التشويش على المصلين.
- ٣- في هذا الذكر بصوت واحد تشبُّه بالنصارى الذين يجتمعون في كنائسهم لأداء التراتيل والأناشيد الدينية بصوت واحد.

الاجتماع على الذكر غير الذكر الجماعي:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ :
« لَأَنْ أَقْعَدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ
حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتِقَ أَرْبَعَةً مِنْ وَلَدِ
إِسْمَاعِيلَ ، وَلَأَنْ أَقْعَدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ مِنْ صَلَاةِ
الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتِقَ
أَرْبَعَةً ». (رواه أبو داود ، وحسنه الألباني).

قد يفهم البعض من هذا الحديث استحباب الذكر الجماعي ، وليس هذا بصحيح ، وإنما فيه استحباب الاجتماع على الذكر ، بمعنى أن يُعِينَ بعضنا بعضاً عليه بالتواجد في

مكان واحد ، ويوضح ذلك أن النبي لما طبق ذلك عملياً لم يكن يذكر الله عزَّوجلَّ مع أصحابه ذكراً جماعياً.

فَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ جَلَسَ فِي مُصَلَّاهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَسَنًا. (رواه مسلم). ورواه أبو داود بلفظ: « كَانَ النَّبِيُّ إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ تَرَبَّعَ فِي مَجْلِسِهِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَسَنًا » (صححه الألباني).

وفي رواية عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ: قُلْتُ لِحَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ : « أَكُنْتَ تُجَالِسُ رَسُولَ اللَّهِ ؟ » ، قَالَ: « نَعَمْ كَثِيرًا . كَانَ لَا يَقُومُ مِنْ مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ فَإِذَا طَلَعَتْ قَامَ . وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَيُضْحَكُونَ وَيَتَبَسَّمُونَ » . (رواه مسلم).

فكان يذكر الله عزَّوجلَّ ولم يكن الصحابة يرددون خلفه أو معه . ويكون فائدة الاجتماع عندئذ أنه أنشط للنفس لكونها مجبولة على التآسي ، كما قالت

الخنساء:

وَلَوْ لَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي

عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي

شبهته:

من شبهات الصوفية استدلالهم بعموم الأحاديث الدالة على فضل الاجتماع على ذكر الله ومجالس الذكر مثل أحاديث: « إِنَّ لِلَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - مَلَائِكَةً سَيَّارَةً ، فَضُلًّا يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ » (متفق عليه) ، « مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ » (رواه مسلم).

الرد:

١- هذه الأحاديث لا تدل على الذكر الجماعي واستحبابه ، وإنما هي دالة على استحباب الاجتماع على ذكر الله عزَّوَجَلَّ ، وهناك فرق كبير بين هذا وذاك فالاجتماع على ذكر الله عزَّوَجَلَّ مستحب مندوب إليه بمقتضى الأحاديث

الواردة في فضله ، ولكن على الوجه المشروع الذي فهمه الصحابة وعملوا به ، فقد كانوا يجتمعون على الذكر ، وقد ورد أن أصحاب رسول الله كانوا إذا اجتمعوا أمروا واحداً منهم أن يقرأ والناس يستمعون ، كما قال أبو سلمة : « وكان عمر بن الخطاب يقول لأبي موسى - وهو جالس في المجلس - : « يا أبا موسى ذكّرنا ربّنا » ، فيقرأ عنده أبو موسى وهو جالس في المجلس » (رواه ابن حبان ، وقال الأرنؤوط : « إسناده صحيح على شرط مسلم »).

وليس في الأحاديث أن في مجالس الذكر هذه أن أحد الأشخاص يذكر الله عزّوجلّ وبقية المجلس يرددون وراءه ، وليس فيه أنهم يرددون بصوت جماعي .

٢- ذكر الإمام الشاطبي أن البدعة مضادة للطريقة الشرعية من عدة أوجه ، وذكر منها: « التزام الكيفيات والهيئات المعينة كالذكر بهيئة الاجتماع على صوت واحد ».

الفصل الحادي عشر الخضر عليه السلام في الفكر الصوفي

قصة الخضر عليه السلام التي وردت في القرآن في سورة الكهف ، ووردت في السنة في صحيح البخاري وغيره ، حرّف المتصوفة معانيها وأهدافها ومراميتها وجعلوها عموداً من أعمدة العقيدة الصوفية ، فقد جعلوا هذه القصة دليلاً على أن هناك ظاهراً شرعياً ، وحقيقة صوفية تخالف الظاهر ، وجعلوا إنكار علماء الشريعة على علماء الحقيقة المزعومة أمراً مستغرباً ، وجعل الصوفية الخضر عليه السلام مصدرًا للوحي والإلهام والعقائد والتشريع. ونسبوا طائفة كبيرة من علومهم التي ابتدعوها إلى الخضر عليه السلام ، ومنهم من ادعى لقباً الخضر والأخذ عنه.

فقه القصة كما وردت في الكتاب والسنة:

من استعراض نصوص القصة في القرآن وفي صحيح البخاري نستخلص الفوائد التالية:

١- أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ: « أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ » فَقَالَ: « أَنَا » ، فَتَعَبَ اللهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرِدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ ، فَأَرَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَعْلَمَ نَبِيَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ كَانَ يَجِبُ أَنْ يَرُدَّ عِلْمَ ذَلِكَ إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ ، فَأَرَاهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَنَّ هُنَاكَ عَبْدًا لَا يَعْلَمُهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، هُوَ عَلَى عِلْمٍ مِنَ عِلْمِ اللهِ لَا يَعْلَمُهُ مُوسَى وَكَانَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ هَذَا اللَّقَاءَ بَيْنَ مُوسَى وَالْخَضِرِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

٢- أن الخضر - بعد أن تم لقاءه بموسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - أَخْبَرَهُ أَنَّ عِلْمَ الْخَضِرِ وَعِلْمَ مُوسَى بِجِوَارِ عِلْمِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا شَيْءَ ، وَأَنَّهَا لَمْ يَنْقُصَا مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا كَمَا شَرِبَ الْعَصْفُورُ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ.

٣- أن الشريعة التي كان عليها الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ تَكُنْ فِي حَقِيقَتِهَا مُخَالَفَةً لِلشَّرِيعَةِ الَّتِي عَلَيْهَا مُوسَى ، وَإِنَّمَا

كان يخفى على موسى فقط الخلفية التي من أجلها فعل الخضر ما فعله ، ولذلك فإن الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ - عندما بين لموسى الأسباب التي دفعته إلى حرق السفينة وقتل الغلام وبناء الجدار - لم يستنكر موسى شيئاً من ذلك لأن هذا كله سائغ في الشريعة:

أ- فإتلاف بعض المال لاستنقاذ بعضه جائز فلو وكلت مثلاً رجلاً على عمل لك ثم جاء لصوص أو ظلمه قطاع طريق ليستولوا على المال كله ، ولم يجد هذا الوكيل وسيلة لدفعهم إلا بأن يدفع لهم بعض المال ويتركوا بعضه لما كان ملوماً شرعاً ، ولا يُلام ممن وكله بل يستحسن فعله ، وما فعله الخضر بالنسبة إلى السفينة لا يعدو ذلك فهو إنما أفسد السفينة فساداً جزئياً لتظهر لأعوان ذلك الملك الظالم أنها غير صالحة فيتركوها وبذلك تسلم من الغصب.

ولا شك أن ما فعله الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ في حقيقته إحسان لأصحاب السفينة ؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَطْلَعَهُ على شيء من المستقبل في أن ذلك الملك الظالم سيصادر السفن لأمر ما ، كما هو حال كثير من الرؤساء والملوك

الظلمة يصادرون وسائل النقل أحياناً إما لمصالحهم أو لمصلحة عامة.

فما فعله الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ بالنسبة إلى السفينة موافق للشرع الإلهي تماماً وليس مخالفاً للتشريع ، وإنكار موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في أول الأمر ناشئ من أنه لم يعرف الخلفية الغيبية التي كان الله قد أطلع عليها الخضر بوحي من عنده عَزَّوَجَلَّ.

ب- وأما قتل الغلام فهو كذلك سائغ في الشريعة إذا كان هذا الغلام سيكون ظالماً لوالديه ، مجبراً لهما على الكفر وكان هذا مما علمه الله مستقبلاً ، وأطلع عليه الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فكان قَتْلُهُ أيضاً سائغاً ، وقد جاءت الشريعة بقتل الصائل المعتدي.

حقاً إن الشريعة لا تأمر بقتل الصائل إلا إذا باشر العدوان ، والطفل هنا لم يباشر العدوان بعد ، ولكن القتل هنا بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الَّذِي يَعْلَمُ مَا سَيَكُونُ ، وقد كان هذا منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَحْمَةً بَعِيدِينَ مِنْ عِبَادِهِ صَالِحِينَ أَرَادَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ أَنْ لَا يَتَعَرَّضَ لِفِتْنَةِ هَذَا الْوَلَدِ الْعَاقِ فَيَتَأَلَّمُ الْمَيِّنُ :

الألم الأول: أنه ولدهما وعقوق الأولاد شديد على قلوب الآباء.

والثاني: أنها قد يبلغان الكفر ويتعبان في التمسك بالإيمان وهذا عذاب آخر ، فجمع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لهما عذابًا واحدًا فقط وهو فقد الولد ، وفيه خير لهما ولا شك لأن صبرهما ، أيضًا على فقدته فيه خير لهما.

فلما علم الله ذلك ، وأطلع الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ عليه ، ونفذ هذا بأمر الله كان ذلك كله موافقًا للشريعة التي عليها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وعليها محمد وعليها سائر الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

عَنْ عَطَاءٍ ، قَالَ: « كَتَبَ نَجْدَةُ الْحُرُورِيِّ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ يَسْأَلُهُ عَنْ قَتْلِ الصَّبِيَّانِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ: « أَمَّا الصَّبِيَّانُ: فَإِنْ كُنْتَ الْخَضِرَ تَعْرِفُ الْكَافِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِ ، فَاقْتُلْهُمَ ». (رواه الإمام أحمد في المسند ، وصححه الأرناؤوط).

(فَإِنْ كُنْتَ الْخَضِرَ) أي: إن كنتَ مثل الخضر النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي أطلعه الله على مآل الغلام الذي قتله ، فاقتلهم ، وهذا الأمر المراد به التعجيز ، لأنه لا يتحقق له ذلك ، أي إن كان ذلك سائغ في الشريعة ، فأين من يُطْلَعُه الله على الغيب كما أطلع الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ. وهو كقوله تَعَالَى: (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ) (الزخرف: ٨١).

ج- وأما مسألة بناء جدار لقوم بُخْلَاء لم يبذلوا القِرَى (بكسر القاف) والضيافة الواجبة ، فإن ذلك من باب مقابلة الإساءة بالإحسان ، وهذا خلق من أخلاق الشريعة الإسلامية وما فعله الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ هو من باب الإحسان إلى قوم قدموا الإساءة.

ثم إن إحسانه لهذين الغلامين لم يتأت منها إساءة وكان أبوهما رجلاً صالحاً وهم في قرية ظالمة بخيلة ، ولو هدم جدار بيتهم لانكشف كنزهم ولاستولى عليه هؤلاء القوم البخلاء ، فلا شك أن ما فعله الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ من

بناء الجدار هو عين ما تأمر به كل شرائع الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ التي أمرت بالفضل والإحسان ، ورعاية اليتامى وحفظ حقوقهم.

فأي شيء يُسْتَعْرَبُ مما فعله الخضر؟ وأي حقيقة اطلع عليها الخضر تخالف ظاهر شريعة كان عليها موسى؟ بل ما فعله الخضر موافق تماماً لشريعة موسى ولشريعة عيسى ولشريعة محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ولكل شرائع الله المنزلة ، ولم يقل الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ أو يفعل شيئاً يخالف ما كان عليه الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وإنما فقط أطلع الله على بعض أسرار المقادير ففعل ما فعل من الحق الذي لا تنكره الشرائع بناء على هذه الأخبار والأنباء التي أطلع الله عليها. وباختصار لم يفعل الخضر شيئاً مخالفاً لشريعة موسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فافهم هذا جيداً وتمسك به.

٤- وجود الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ على دين وشريعة غير شريعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان أمراً سائغاً وسنة من سنن الله قبل بعثة محمد ؛ لأن النبي كان يُبْعَثُ إلى قومه خاصة ولذلك كان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ رسولاً إلى بني إسرائيل فقط ،

ولم يكن رسولا للعالمين ، ولذلك لما سلم موسى على الخضر عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قال الخضر: « وَأَنْتَ بِأَرْضِكَ السَّلَامُ » قَالَ: « أَنَا مُوسَى » ، قَالَ: « مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ؟ » ، قَالَ: « نَعَمْ » .

أي أنت مبعوث إلى بني إسرائيل ومنهم ، ولذلك لم تكن شريعة موسى لازمة للخضر ولجميع الناس في زمانه ، وأما بعد بعثة محمد فإنه لا يجوز شرعا أن يكون هناك من هو خارج عن شريعته ؛ لأن الرسول رسول للعالمين ، فلا يسع الخضر ولا غيره أن يتخلف عن الإيمان به واتباعه ولذلك فلا وجود بتاتا للخضر وأمثاله بعد بعثة الرسول محمد .

٥- لا شك أن ما فعله الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ فَعَلَهُ عن وحي حقيقي من الله وليس عن مجرد خيال أو إلهام ؛ لأن قتل النفس لا يجوز بمجرد الظن ، ولذلك قال الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ : (وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِي) . فلم يفعل إلا عن أمر الله الصادق ووحيه القطعي . ومثل هذا الأمر والوحي القطعي قد انقطع بوفاة النبي فلا وحي بعده ، ومن

ادعى شيئاً من ذلك فقد كفر ؛ لأنه بذلك خالف القرآن الذي يقول الله فيه: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) (الأحزاب: ٤٠). وقال أيضاً رسول الله : « وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَاقَّةٍ ، وَخُتِمَ بِي التَّبْيُونُ » (رواه مسلم).

من بيان الحقائق السالفة تتضح لنا الصورة الحقيقية لقصة الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ ، والاعتقاد الواجب فيه حسب الكتاب والسنة.

ولكن المتصوفة جعلوا من هذه القصة شيئاً مختلفاً تماماً. فقد زعموا أن الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ حيّ إلى أبد الدهر ، وأنه صاحب شريعة وعلم باطني يختلف عن علوم الشريعة الظاهرية ، وأنه وَلِيٌّ وليس نبِيٌّ ، وأن علمه علم لدني موهوب له من الله بغير وحي الأنبياء ، وأن هذه العلوم تنزل إلى جميع الأولياء في كل وقت قبل بعثة الرسول محمد وبعد بعثته ، وأن هذه العلوم أكبر وأعظم من العلوم التي مع الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، بل وعلوم الأنبياء لا

تدانيها ولا تضاهيها ، فكما أن الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ - وهو وليّ فقط في زعمهم - كان أعلم من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فكذلك الأولياء من أمة محمد هم أعلم من محمد ؛ لأن محمداً عالم بالشرعية الظاهرة فقط ، والولي عالم بالحقيقة الصوفية ، وعلماء الحقيقة أعلم من علماء الشرعية .

وزعموا كذلك أن الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ يلتقي بالأولياء ويعلمهم هذه الحقائق ويأخذ لهم العهود الصوفية ، وأن الحقائق الصوفية تختلف عن الحقيقة المحمدية ، ولذلك لكل ولي شريعته المستقلة فما يكون معصية في الشرعية كشرب الخمر والزنا واللواط ، قد يكون حقيقة صوفية وقربة إلى الله حسب العلم الباطني ، وكذلك في أمر العقائد ومسائل الإيمان فلكل وليّ كشفه الخاص ، وعلمه الخاص اللدني الذي قد يختلف عن الوحي النبوي .

وهكذا جعل المتصوفة من قصة الخضر باباً عظيماً لإدخال كل أنواع الخرافات والزندقة والجهل والإسفاف ، بل منهم من زعم أن الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يصلي لأنه على شريعة خاصة!! .

**والصواب الذي عليه المحققون أن الخضر
ميت وأنه لم يدرك الإسلام ، والأدلة على
ذلك:**

١- لو كان موجوداً في زمان النبي لوجب عليه
أن يؤمن به ويجاهد معه كما أوجب الله ذلك عليه وعلى
غيره ، ولكان يكون في مكة والمدينة ولكان يكون حضوره
مع الصحابة للجهاد معهم وإعانتهم على الدين أولى به من
حضوره عند قوم كفار ليرفع لهم سفيتهم ولم يكن مختلفياً
عن خير أمة أخرجت للناس وهو قد كان بين المشركين ولم
يحتجب عنهم.

٢- ليس للمسلمين بالخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ حاجة في دينهم
ودنياهم ، فإن دينهم أخذوه عن الرسول النبي الأمي
الذي علمهم الكتاب والحكمة ، وقال لهم نبينهم « لَوْ أَصْبَحَ
فِيكُمْ مُوسَى ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ ، وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ » (رواه
الإمام أحمد وإسناده حسن) ، وعيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ
إذا نزل من السماء إنما يحكم في المسلمين بكتاب ربهم وسنة

نبيهم محمد ، فأبي حاجة لهم مع هذا إلى الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ أو غيره.

٣- إذا كان الخضر حياً دائماً فكيف لم يذكر النبي ذلك قط ، ولا ذكره خلفاؤه الراشدون ، ولا أحدٌ من الصحابة !!؟

٤- إن قال قائل: إن الخضر نقيب الأولياء ، فيقال له: مَنْ وِلاهُ النِّقَابَةُ وَأَفْضَلُ الْأَوْلِيَاءِ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ، وليس فيهم الخضر ، وغاية ما يحكى في هذا الباب من الحكايات بعضها كذب وبعضها مبني على ظن رجال مثل شخص رأى رجلاً ظن أنه الخضر ، وقال إنه الخضر .
ورُوِيَ عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال - وقد ذُكِرَ له الخضر - : « مَنْ أَحَالَكَ عَلَى غَائِبٍ فَمَا أَنْصَفَكَ ، وَمَا أَلْقَى هَذَا عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ إِلَّا الشَّيْطَانُ » .

٥- ليس هناك دليل قط على أن الخضر حي أو موجود - كما يزعم الزاعمون - بل على العكس ، هناك أدلة من

القرآن والسنة والمعقول وإجماع المحققين من الأمة على أن الخضر ليس حيًّا.

ذكر الإمام ابن القيم / في كتابه (المنار المنيف في الصحيح والضعيف) ضوابط للحديث الموضوع الذي لا يقبل في الدين ، ومن هذه الضوابط: « الأحاديث التي يذكر فيها الخضر وحياته ، كلها كذب ، ولا يصح في حياته حديث واحد ».

وسئل إبراهيم الحربي عن تعمير الخضر وأنه باق ، فقال: « ما ألقى هذا بين الناس إلا شيطان ». وسئل البخاري عن الخضر والياس هل هما أحياء؟ فقال: « كيف يكون هذا؟ وقد قال النبي : « أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ ، فَإِنَّ رَأْسَ مِائَةٍ ، لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ » (رواه الشيخان).

فالقرآن ، والسنة ، وكلام المحققين من علماء الأمة ينفي حياة الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ.

القرآن يقول: (وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّ مِّن قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَايِنَ مَّتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ) (الأنبياء: ٣٤) فالخضر إن كان بشراً فلن يكون خالدًا ، حيث ينفي ذلك القرآن الكريم والسنة المطهرة ؛ فإنه لو كان موجودًا لَجَاءَ إِلَى النبي ، فقد قال : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَان حَيًّا ، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي » (رواه الإمام أحمد ، وحسنه الألباني).

فإن كان الخضر نبيًا ، فليس هو بأفضل من موسى ، وإن كان وليًا فليس أفضل من أبي بكر.

وما الحكمة في أن يبقى طيلة هذه المدة - كما يزعم الزاعمون - في الفلوات والقفار والجبال؟ ما الفائدة من هذا؟ ليس هناك فائدة شرعية ولا عقلية من وراء هذا. إنما يميل الناس دائمًا إلى الغرائب والعجائب والقصص والأساطير ، ويصورونها تصويرًا من عند أنفسهم ومن صنع خيالهم ، ثم يُضفون عليها ثوبًا دينيًا ، ويروج هذا بين بعض السذج ، ويزعمون هذا من دينهم ، ولكن ليس هذا

من الدين في شيء. والحكايات التي تحكي عن الخضر إنما هي مخترعات ما أنزل الله بها من سلطان.

هل الخضر نبي أم ولي؟

قد اختلف العلماء في ذلك ، والأظهر أنه نبي - كما يبدو من قول الله تعالى: (وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِى) (الكهف: ٨٢) أي ليس لي دخل في الذي فعلت فهي دليل على أنه فعل ذلك عن أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَمِنْ وَحْيِهِ لَا مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ. فالأرجح أنه نبي وليس مجرد ولي.

ومما يؤكد أنه نبي أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قال: (فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا) (الكهف: ٦٥) ، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا يؤتي هذا العلم إلا لنبي. فالخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ على قول أغلب العلماء نبي. وليس بعجيب أن يتعلم نبي من نبي.

قد يقول البعض: وهل ينبني على ذلك

حكه؟

الإجابة: نعم. فقد قيل: « إن أول عقدة تحل من الزندقة أن يكون الخضر نبياً » ؛ لأن غلاة الصوفية يزعمون

أن الولي أعظم من النبي ، ويزعمون أن مقام النبوة في برزخ فُوقَ الرسولِ ودون الولي. فالولي عندهم أعظم من النبي. وهذا ضلال مبین وزندقة ؛ لأن النبوة ليست مكتسبة. إن النبوة منحة من الله عزَّوَجَلَّ لا تُكتَسَبُ فلذلك كان إثبات أن الخضر نبي أول عقدة تحل من هذا الحبل الطويل من الزندقة.

هل الخضر أعلم من موسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ؟

الجواب: لا ؛ لأن الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ كان أعلم منه بهذه الجزئية التي علمه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى إياها فقط ، أما في بقية العلم فلا شك أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أعلم ، ولا شك أن موسى أفضل من الخضر عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ؛ لذلك قال له الخضر لما نقر العصفور من ماء البحر ، قَالَ: « يَا مُوسَى ، إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ اللَّهُ لَا تَعْلَمُهُ ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكُهُ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ » ، فهنا الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ إنما هو أعلم من موسى بهذه الجزئية فقط.

إِذْ فَضِّلْنَاكَ الْثَّانِي عَشْرًا

الكشف عند الصوفية

الغيب في المعتقد الصوفي

قَالَ تَعَالَى: (الْم ١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى

لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (

(البقرة: ١-٣) ، فقد جعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى صِفَةَ الْإِيمَانِ

بِالْغَيْبِ أَوْلَ صِفَةَ لِّلْمُتَّقِينَ الْمُهْتَدِينَ بِالْقُرْآنِ وَالسَّنَةِ ، وَذَلِكَ

حَتَّى يُوْحِدَ الْمُؤْمِنُونَ طَرِيقَ التَّلْقِيِ فَلَا يَتَلَقُونَ غَيْبًا إِلَّا مِنْ

اللَّهِ وَمَنْ أَقَامَهُ لِلْأَخْبَارِ بِالْغَيْبِ عَنْهُ وَهُمْ رُسُلُهُ ، وَأَنْبِيَآؤُهُ

فَقَطْ .

جاء المتصوفة فكان أول هدم لهم في الإسلام أن

يهدموا هذا الأصل فأقاموا شيئاً سموه (الكشف الصوفي)

وهو يعني عندهم رفع الحجب أمام قلب الصوفي وبصره

ليعلم ما في السماوات جميعاً ، وما في الأرض جميعاً ، فلا

تسقط ورقة إلا بنظره ، ولا تقع قطرة ماء من السماء إلا

بعلمه ، ولا يولد مولود ، أو يعقد معقود ، أو يتحرك ساكن
أو يسكن متحرك إلا بعلم الصوفي.

لا يقف أمامه حجاب ، ولا يوصد أمامه باب ، ولا
يعجزه علم شيء في الأرض ولا في السماء. فهو يعلم ما
يكتب في اللوح المحفوظ ساعة بساعة ، بل هو يعلم بأي
لغة وأي قلم كتب اللوح المحفوظ ، وماذا في أم الكتاب ،
وماذا كان منذ الأزل وماذا سيكون إلى الأبد.

لقد ترقى المتصوفة في مسألة الكشف عندهم فزعموا
أولاً أن الصوفي يكشف له معان في القرآن والحديث لا
يعلمها علماء الشريعة الذين سموهم بعلماء الظاهر
والقراطيس والآثار التي ينقلونها عن الموتى ، وأما هم
فيلتقون بالرسول يقظة أحياناً ، ومناماً أحياناً
ويسألونه ويستفيدون منه هذه العلوم.

ثم ترقوا فقالوا: إن لنا علوماً ليست في الكتاب
والسنة نأخذها عن الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي هو على شريعة
الباطن ، وهو الذي يمد الأولياء بهذه الشريعة ، فموسى

ومحمد والأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ على شريعة ظاهرة ، وأما الخضر فهو على شريعة باطنة يجوز فيها ما لا يجوز في الظاهر ، فقد قتل الغلام بغير ذنب ، وكسر السفينة لمن حملهم بغير نول ، وبني الجدار إحساناً منه لمن أساء إليهم . ومثل هذا ينكره أهل الظاهر كما أنكره موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ونحن في الباطن على شريعة الخضر وهو يلتقي بنا ونتعلم منه علوماً خاصة ينكرها أهل الظاهر لجهلهم .

والعجيب أنه كان من هذا الدين الباطن الذي زعموا أخذَه عن الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ إتيان (الحمارة) والزنا ، وشرب الخمر واللواط ، والتعري ، والصراخ في الطرقات ، وسب المؤذنين للصلاة ، وسب الأنبياء ، والادعاء بأن كل مخلوق هو الله ، وإلقاء السلام على الكلاب والخنازير ، والترحم على إبليس ومحاولة الوصول إلى مقامه ، وجعل فرعون أعلم من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وتبرئة قوم نوح من الشرك ، وجعل الرسول محمد هو الله المستوي على العرش .

هذه الأشياء قليلة جداً من هذا الدين الباطني الذي زعم المتصوفة أنهم نالوه عن طريق الكشف الصوفي ، وهو رفع الحجب عن القلوب والأبصار لرؤية الحق على ما هو عليه ، وأن الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ هو مُبَلَّغٌ كل هذا لهم .

وتارة يترقون في هذا الكذب ، أو بالأحرى يهونون إلى أسفل سافلين في دعاوي الكذب هذه ، فيزعمون أنهم تلقوا هذه العلوم من ملك الإلهام كما تلقى محمد علومه من مَلَك الوحي ، وأخرى يزعمون أنهم تلقوا علومهم هذه التي أشرنا إلى بعضها آنفاً من الله عَزَّوَجَلَّ رَأْسًا وبلا وساطة ، وأنها انطبعت في نفوسهم من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَأْسًا وأنهم مطالعون الأمر في الأزل بأرواحهم ، والأمر في الأبد يروونه كما يكون عليه الحال يروونه كذلك بأرواحهم بغير وساطة وأن همتهم تصل السماوات وما فوقها والأرض وما تحتها .

ولقد وسع المتصوفة دائرة كشفهم هذه فزعموا أنهم يعلمون أسرار الحروف المقطعة من القرآن بطريق الكشف ، وقصص الأنبياء يروونها على حقيقتها ويجمعون بالأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ويسألونهم عن تفاصيل قصصهم وما كان

منهم. فيفيدون فوائد كثيرة دُونَهَا كثيرًا ما هو موجود فعلاً في القرآن ، وأما الجنة والنار ، فهم وإياها دائماً رأي العين ، بل هي ساقطة أصلاً من عيونهم ؛ لأن النار لو بصق أحدهم عليها لأطفأها. وأما الجنة فالنظر إليها شرك وكفر لأنهم ينظرون إلى الله عزَّوَجَلَّ فقط.

باختصار لقد اكتشف المتصوفة - بزعمهم - للقرآن معاني غير التي يعرفها أصحاب النبي وعلماء الأمة على مر العصور. لقد اكتشفوا هم عن طريق كشفهم الشيطاني أن للقرآن معاني أخرى وأن فيه علومًا كثيرة جدًا لا يعلمها غيرهم. وما هذه العلوم. إنها كل الفلسفات القديمة ، والخزعبلات والخرافات التي عند فلاسفة الإغريق ، وكهنة الهنادك والهندوس ، وشياطين المجوس وإباحية المانوية والمزدكية ، وخرافات القصاص من كل لون وجنس ، كل هذا وهذا جعله المتصوفة كشفًا وحقيقة صوفية ومعاني للقرآن الكريم والحديث النبي الشريف.

ومن أراد منهم أن لا ينسب هذه الخرافات والخزعبلات إلى القرآن والحديث ، ورأى أنه تحقق بعلوم

أكثر بكثير مما فيها قال: « خُضْنَا بَحْرًا وَقَفَ الْأَنْبِيَاءُ بِسَاحِلِهِ ». فجعل نفسه أعظم معرفة وتحقيقًا مما لدى الأنبياء. وذلك لما رأى أنه قد جمع من الخرافات والخزعبلات والأساطير شيئًا نهى الرسل الصادقون عن افتراءه وتناقله وتداوله.

هذه هي حقيقة الكشف الصوفي الذي زعم أصحابه أنه ثمرة العبادة والتقوى والاتصال بالله والملائكة والأنبياء والخضر ، وأنه نتيجة حتمية لسباحة أرواحهم في الأزل والأبد ، والسموات السبع وما فوقها والأرضين السبع وما تحتها.

لقد أتونا بعد هذه السياحة الشيطانية بعشرات المجلدات والخرافات والخزعبلات بعد أن لبسوها وخلطوها ببعض العلم الذي جاء به الرسل فخلطوا الأمر على عامة المسلمين ، وأضلوا من لا علم لهم بالكتاب والسنة ، وظنوا فعلاً أن هؤلاء الناس صالحون وأن علومهم هذه قد أتوا بها فعلاً من الغيب ، وخاصة أنهم رأوهم أحياناً تجري على أيديهم بعض الحيل الشيطانية ،

وبعض الكرامات الإبلسية من خرق العادات أو الإخبار ببعض المغيبات مما هو عند الهندوس والمجوس والدجال وابن صياد أمثاله وأكثر منه مئات المرات.

لقد أوهم العامة ما جرى على يد هؤلاء من هذه الكرامات الإبلسية التي هي حقاً أمثال شيطانية من ما يجري للكفار والمنافقين والدجالين ، فظنوا أن هؤلاء من أهل الله حقاً ، وأن الحجب ترتفع عنهم صدقاً وأن علومهم هذه آتية من الغيب يقيناً وبذلك راجت يوماً بضاعة هؤلاء الزنادقة وصرفوا المسلمين عن دينهم الحق وعقيدتهم المستقيمة.

الإيمان بالغيب في الكتاب والسنة:

من أصول الدين وقواعد الإيمان أن تعتقد أن الغيب علمه لله عَزَّوَجَلَّ وحده وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُطَّلِعُ - على ما شاء من الغيب - مَنْ شاء من أنبيائه ورسله فقط ، وأن الأنبياء لا يعلمون من الغيب إلا ما أعلمهم الله إياه ، كما قال عَزَّوَجَلَّ لرسوله: (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا

شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْرَثُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا
مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (الأعراف:
١٨٨). وَقَالَ تَعَالَى: (عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ
أَحَدًا ۖ ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ
خَلْفِهِ رَصَدًا ۖ ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا
لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا) (الجن: ٢٦-٢٨).

وأمر رسوله محمدًا أن يخبر الناس أنه ليس ملكًا
ولا يملك خزائن الله ولا يعلم الغيب ، قَالَ تَعَالَى: (قُلْ لَا
أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي
مَلَكٌ إِن اتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ
أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ) (الأنعام: ٥٠).

وهذا الذي قاله الرسول هو ما قاله نوح قبل
ذلك. قال تعالى على لسان نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ : (وَلَا أَقُولُ لَكُمْ
عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ

لِلَّذِينَ تَزِدِي أَعْيُنَكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي
أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (هود: ٣١).

وفي صحيح البخاري أن النبي قال: « مَفَاتِيحُ
الْغَيْبِ خَمْسٌ ، لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: لَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ
الْأَرْحَامُ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدِّ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا يَعْلَمُ
مَتَى يَأْتِي الْمَطْرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ
تَمُوتُ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ ».

وهذا الحديث يقرر قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ
السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ
مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
خَبِيرٌ) (لقمان: ٣٤).

وفي صحيح البخاري أيضًا عن عائشة أنها
قالت: \$ مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ ، ثُمَّ
قَرَأَتْ: (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) (الأنعام: ١٠٣) ، وَمَنْ
حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي غَدِّ فَقَدْ كَذَبَ ، ثُمَّ قَرَأَتْ: (قُلْ لَا يَعْلَمُ

مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبِ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (النمل: ٦٥).

فهذه الآيات والأحاديث ومثلها كثير جداً قاطع بأنه لا يعلم أحد في السماوات والأرض الغيب إلا الله سبحانه وتعالى لا ملكٌ مقربٌ، ولا نبيٌ مرسلٌ، وأنه لا يعلم أحد من هؤلاء الغيب إلا ما أطلعه الله عز وجل عليه، فهام الملائكة يخلق الله آدم ولا يعلمون الحكمة من خلقه، ويعرض الله عليهم مسميات معينة ويقول لهم: (أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (البقرة: ٣١)، فيقولون: (سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) (البقرة: ٣٢)، ويعلم الله سبحانه وتعالى آدم النبي عليه السلام الأسماء فيعلمها لهم، وآدم نبي مكلّم كما جاء في الحديث الشريف.

وهؤلاء الأنبياء عليهم السلام لا يعلمون الغيب بنص القرآن وبمئات بل بالآلاف الوقائع، فإبراهيم عليه السلام لم يعلم بأنه يولد له ولد من زوجته سارة إلا بعد أن جاءته

الملائكة ، ولقد جاءت الملائكة في صورة بشر فذبح لهم
عجلاً وقربه إليهم وهو لا يعلم حقيقتهم حتى أعلموه ، ولم
يكن يعرف مقصدهم حتى أعلموه أنهم ذاهبون لتدمير
قرى لوط.

وأما لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّ الملائكة قد أتوا لإنجائه
وإنجاء أهله ، ولم يعلم حقيقة أمرهم إلا بعد أن أعلموه ولم
يكن له كشف خاص ، ولا علم خاص يستطيع أن يعرف
مَنْ القوم.

وأما محمد فقد حدث له مئات الوقائع التي تدل
يقيناً أنه لم يكن يعلم في الغيب إلا ما أعلمه الله إياه. ولم
يعرف أن الذي أتاه في غار حراء هو جبريل الملك عَلَيْهِ السَّلَامُ
حتى أخبره ورقة بن نوفل ، فعندما جاءه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ
في غار حراء رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ يَرْجُفُ فُؤَادَهُ ، فَدَخَلَ
عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ فَقَالَ: « زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي » .
فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ ، فَقَالَ لِحَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ:
« لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي » (رواه البخاري ومسلم).

ولم يدُرْ بخَلْدِ النبي أنه سيؤذَى ويخرج من مكة
أبداً علماً بأن النبي قد مكث يتعبد في غار حراء
سنوات طويلة ، وعند الصوفية أن من لف رأسه بخرقه
وجلس في مكان مظلم رأى الله ، وعرف كل شيء وشاهد
الكون أعلاه وأسفله .

بل النبي محمد مكث ثلاث عشرة سنة في مكة لا
يعلم أين سيهاجر بعد ذلك ، وبعد الهجرة خرج إلى أبي
سفيان ففاته واصطدم بجيش المشركين في غزوة بدر ،
وجاءه المشركون في المدينة المرة تلو المرة يزعمون أنهم قد
آمنوا ويطلبون منه أن يرسل لهم من يعلمهم القرآن فكان
يرسل معهم خيرة القراء ، فيغدرون بهم في الطريق ، ولو
علم رسول الله ما يكون من أمر الله - بل لو علم أن
هؤلاء الكفرة الأعراب يكذبون عليه - لما أسلم لهم
أصحابه .

وحُبِسَ المسلمون - ومعهم رسول الله - يوماً
وليلة في مكان ليس فيه ماء ؛ لأن عائشة قد فقدت
عقداً لها ، ولو كان هناك كشف صوفي على ما يصوره

الصوفية ويزعمونه لَعَلِمُوا أَيْنَ عَقْدَ عَائِشَةَ الذي كان
تحت بعيرها ولم يظن إليه أحد من المسلمين من أصحاب
النبي .

ورمى المنافقون أمنا عائشة بالزنا - شرفها الله
وحماها وبرأها ولعن الله مَنْ سَبَّهَا - ومكث رسول الله
شهرًا كاملًا لا يدري ما يقول ، وكان يستفتي أصحابه
ويسأل علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد ، وبريرة خادمتها
ومولاته هل رأوا على عائشة شيئًا. ولم يستطع رسول الله
أن يعلم حقيقة الأمر حتى أنزل الله براءتها من فوق
سبع سماوات.

هذا إلى العشرات والمئات من الوقائع التي تبين أن
رسول الله وأكرم خلق الله من البشر على الله عزَّوَجَلَّ لم
يكن يطلع على شيء من الغيب إلا ما أطلَّعه الله بحكم
النبوة.

شبهته:

عن ابن عمر : أن عمر بعث جيشًا ، وأمر عليهم رجلاً يدعى سارية ، فبينما عمر يخطب ، فجعل يصيح : « يا ساريةُ الجبل ! » ، فقدم رسولٌ من الجيش ، فقال : « يا أمير المؤمنين لقينا عدونا فهزمونا ، فإذا بصائح يصيح : يا ساريةُ الجبل ، فأسندنا ظهورنا إلى الجبل ، فهزمهم الله تعالى . (رواه ابن عساكر والبيهقي في دلائل النبوة ، وغيرهما بإسناد حسن).

الجواب:

مما لا شك فيه أن النداء المذكور إنما كان إلهامًا من الله تعالى لعمر وليس ذلك بغريب عنه ، فإنه (محدث) كما ثبت عن النبي ولكن ليس فيه أن عمر كُشِفَ له حال الجيش ، وأنه رآهم رأي العين.

فاستدلال بعض المتصوفة بذلك على ما يزعمونه من الكشف للأولياء وعلى إمكان اطلاعهم على ما في القلوب من أبطل الباطل ، كيف لا وذلك من صفات رب العالمين المنفرد بعلم الغيب والاطلاع على ما في الصدور. وليت

شعري كيف يزعم هؤلاء ذلك الزعم الباطل والله عزَّوجلَّ يقول في كتابه : (عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ) (الجن: ٢٦-٢٧). فهل

يعتقدون أن أولئك الأولياء رسل من رسل الله حتى يصح أن يُقال إنهم يطلعون على الغيب بإطلاع الله إياهم!! سبحانك هذا بهتان عظيم.

على أنه لو صح تسمية ما وقع لعمر كشفًا ، فهو من الأمور الخارقة للعادة التي قد تقع من الكافر أيضًا ، فليس مجرد صدور مثله بالذي يدل على إيمان الذي صدر منه فضلًا على أنه يدل على ولايته ولذلك يقول العلماء: « إن الخارق للعادة إن صدر من مسلم فهو كرامة وإلا فهو استدراج » ، ويضربون على هذا مثل الخوارق التي تقع على يد الدجال الأكبر في آخر الزمان كقوله للسماء: « أمطري » ، فتمطر وللأرض: « أنبتي نباتك » فتنبت ، وغير ذلك مما جاءت به الأحاديث الصحيحة.

الفصل الثالث عشر

رأس الحسين بن علي رضي الله عنهما

سُئِلَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ / عَنْ الْمَشْهَدِ
الْمَنْسُوبِ إِلَى الْحُسَيْنِ بِمَدِينَةِ الْقَاهِرَةِ:

فَأَجَابَ: « الْمَشْهَدُ الْمَنْسُوبُ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ
الَّذِي بِالْقَاهِرَةِ كَذِبٌ مُخْتَلَقٌ بِلَا نِزَاعٍ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ
الْمَعْرُوفِينَ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ الَّذِينَ يَرْجِعُ إِلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ
فِي مِثْلِ ذَلِكَ لِعِلْمِهِمْ وَصِدْقِهِمْ. وَلَا يُعْرَفُ عَنْ عَالِمٍ مُسَمًّى
مَعْرُوفٍ بِعِلْمٍ وَصِدْقٍ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ هَذَا الْمَشْهَدَ صَحِيحٌ.
وَإِنَّمَا يَذْكُرُهُ بَعْضُ النَّاسِ قَوْلًا عَمَّنْ لَا يُعْرَفُ ».

وقال أيضًا / : « بَلْ نَحْنُ نَعْلَمُ وَنَجْزِمُ بِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ
رَأْسُ الْحُسَيْنِ وَلَا كَانَ ذَلِكَ الْمَشْهَدُ الْعَسْقَلَانِيُّ
مَشْهَدًا لِلْحُسَيْنِ مِنْ وُجُوهِ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْهَا: أَنَّهُ لَوْ كَانَ رَأْسُ
الْحُسَيْنِ هُنَاكَ لَمْ يَتَأَخَّرْ كَشْفُهُ وَإِظْهَارُهُ إِلَى مَا بَعْدَ
مَقْتَلِ الْحُسَيْنِ بِأَكْثَرِ مِنْ أَرْبَعِمِائَةِ سَنَةٍ.

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ الدِّينَ جَمَعُوا أَخْبَارَ الحُسَيْنِ
وَمَقْتَلِهِ مِثْلَ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي الدُّنْيَا وَأَبِي القَاسِمِ البَغْوِيِّ
وغيرِهِمَا - لَمْ يَذْكُرْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنَّ الرَّأْسَ حُمِلَ إِلَى عَسْقلَانَ
وَلَا إِلَى القَاهِرَةِ.

وَقَدْ ذَكَرَ نَحْوَ ذَلِكَ أَبُو الخَطَّابِ بْنُ دِحْيَةَ فِي كِتَابِهِ
المُلَقَّبِ بـ (العِلْمُ المَشْهُورُ فِي فِضَائِلِ الأَيَّامِ وَالشُّهُورِ)
ذَكَرَ أَنَّ الدِّينَ صَنَّفُوا فِي مَقْتَلِ الحُسَيْنِ أَجْمَعُوا أَنَّ
الرَّأْسَ لَمْ يَغْتَرِبْ وَذَكَرَ هَذَا بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ أَنَّ المَشْهَدَ الَّذِي
بِالقَاهِرَةِ كَذِبٌ مُخْتَلَقٌ وَأَنَّهُ لَا أَصْلَ لَهُ ، وَبَسَطَ القَوْلَ فِي
ذَلِكَ كَمَا ذَكَرَ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ مَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ .

الْوَجْهُ الثَّالِثُ: أَنَّ الَّذِي ذَكَرَهُ مَنْ يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ مِنْ
العُلَمَاءِ وَالْمُؤَرِّخِينَ: أَنَّ الرَّأْسَ حُمِلَ إِلَى المَدِينَةِ. وَدُفِنَ
عِنْدَ أَخِيهِ الحُسَيْنِ. وَالَّذِي رَجَّحَهُ أَهْلُ العِلْمِ فِي مَوْضِعِ رَأْسِ
الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ أَنَّ الرَّأْسَ حُمِلَ إِلَى المَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ
وَدُفِنَ هُنَاكَ .»

الْفَصْلُ
الْأَيْعَ عَشْرُ
زَعْمُ الصُّوفِيَّةِ
أَنَّهُ لَوْلَا الرَّسُولُ
مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ الْخَلْقَ

إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِنَّمَا خَلَقَ الْخَلْقَ لِيَعْبُدُوهُ ، كما قال سبحانه: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات: ٥٦) ولم يثبت حديث عن النبي يدل على أن الخلق خلقوا من أجله ، لا الأفلاك ولا غيرها من المخلوقات ، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) (الطلاق: ١٢).

الرد على الشبهات:

الشبهة الأولى: حديث « لولاك لما خلقت

الأفلاك ».

الجواب: هذا حديث موضوع.

الشبهة الثانية:

رُوي عن عمر بن الخطاب أن النبي قال:

« لما اقترف آدم الخطيئة قال: « يا رب أسألك بحق محمد لما

غفرت لي » ، فقال: « يا آدم ! وكيف عرفت محمدًا ولم

أخلقه؟ » ، قال: « يا رب لما خلقتني بيدك ، ونفخت في من

روحك رفعت رأسي ، فرأيت على قوائم العرش مكتوبًا: لا

إله إلا الله ، محمد رسول الله ، فعلمت أنك لم تضيف إلى

اسمك إلا أحب الخلق إليك ، فقال: « غفرت لك ، ولولا

محمد ما خلقتك ».

الجواب: هذا الحديث موضوع.

الفصل

الخامس عشر

أبوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

في صحيح مسلم عن أنسٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: « يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيْنَ أَبِي ؟ » ، قَالَ: « فِي النَّارِ » ، فَلَمَّا قَفَى دَعَاهُ ، فَقَالَ: « إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ » .

قال الإمام النووي / : « فِيهِ: أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ فَهُوَ فِي النَّارِ ، وَلَا تَنْفَعُهُ قَرَابَةُ الْمُقَرَّبِينَ ، وَفِيهِ أَنَّ مَنْ مَاتَ فِي الْفِتْرَةِ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ الْعَرَبُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَلَيْسَ هَذَا مُوَآخَذَةً قَبْلَ بُلُوغِ الدَّعْوَةِ ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ كَانَتْ قَدْ بَلَغَتْهُمْ دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَسَلَامِهِ عَلَيْهِمْ . وَقَوْلُهُ : « إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ » هُوَ مِنْ حُسْنِ الْعِشْرَةِ لِلتَّسْلِيَةِ بِالِاشْتِرَاكِ فِي الْمُصِيبَةِ ، وَمَعْنَى (قَفَى) وَلَّى قَفَاهُ مُنْصَرَفًا . » .

وقال الشيخ عطية صقر: « ولا يضير أن يكون في أنساب الأنبياء كافرون ، فكل امرئ بما كسب رهين » (١).

الرد على الشبهات:

الشبهة الأولى: زعموا أن المقصود بأبي النبي

في الحديث عمه ، كما في قوله تعالى عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَأَزَرَ أَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَأَيْتَكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (الأنعام: ٧٤).

الجواب: إرادة العم من الأب عدول عن الظاهر بلا

مقتضى. وقول بعض النسابين أن اسم أبيه (تارح) لا دليل عليه لا من الكتاب ولا من السنة الصحيحة ، فبين هؤلاء النسابين وبين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مئات السنين. ومن زعم أن أبا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ اسمه تارح فليأتنا بدليل على صحة ذلك.

(١) فتاوى دار الإفتاء المصرية ، نسخة إلكترونية على موقع وزارة الأوقاف المصرية: www.islamic-council.com . تاريخ الفتوى: مايو ١٩٩٧م.

وآزر أبو إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مات كافرًا ؛ قَالَ تَعَالَى:
(وَمَا كَانِ اسْتِغْفَارُ إِبرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ
وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ) (التوبة:
١١٤). وكونه مات كافرًا ردُّ على من قال: « إن شرف مقام
النبوة يقتضي ألا يكون أحد آباء الأنبياء كافرًا » ، مستندًا في
ذلك إلى قول الله عَزَّوَجَلَّ للنبي : (وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّاجِدِينَ)
(الشعراء: ٢١٩) ، قال: « فكيف يكون تقلُّبُ النَّبِيِّ
في الساجدين وآزر ليس منهم؟ ».

واستدلَّ بالآية غير صحيح فقد فسَّرها الطبري
وغيره بغير ذلك ، فقد جاء أن المعنى: يراك قائمًا وراكعًا
وساجدًا ، لأن قبل ذلك قوله تَعَالَى: (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ
الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرِنَكَ حِينَ تَقُومُ) (الشعراء: ٢١٧ -
٢١٨).

الشبهة الثانية:

ذكر الإمام القرطبي / في (التذكرة) عن عائشة
قالت: « حَجَّ بنا رسولُ الله حجة الوداع فمر

بي على عقبة الحجون وهو باك حزين ، مغتم فبكيت لبكائه ، ثم إنه طفر - أي وثب - فنزل فقال: « يا حميراء استمسكي » ، فاستندت إلى جنب البعير. فمكث عني طويلاً ثم عاد إلي وهو فرح مبتسم ، فقلت له: « بأبي أنت وأمي يا رسول الله. نزلت من عندي وأنت باك حزين مغتم فبكيت لبكائك يا رسول الله ، ثم إنك عدت إليّ وأنت فرح مبتسم ؛ فعن ماذا يا رسول الله؟ ». فقال: « مررت بقبر أمي آمنة فسألت الله ربي أن يحييها فأحيها فأمنت بي » - أو قال - « فأمنت وردها الله عز وجل ».

الجواب: هذا الحديث أورده ابن الجوزي في (الموضوعات) ثم قال: « هذا حديث موضوع بلا شك والذي وضعه قليل الفهم عديم العلم ؛ إذ لو كان له علم لعلم أن من مات كافراً لا ينفعه أن يؤمن بعد الرجعة ، لا بل لو آمن عند المعاينة لم ينتفع ».

الشبهة الثالثة:

رُوِيَ عن علي بن أبي طالب أنه قال: « قال رسول الله : « هبط عليّ جبريل فقال: « يا محمد إن الله يقرئك السلام ويقول: « إني حرمت النار على صُلب أنزلك وبطن حملك وحجر كَفَلَكَ ». فقال: « يا جبريل ، بَيْنَ لي » ، فقال: « أما الصُّلب فعبدُ الله ، وأما البطن فآمنة بنتُ وهب ، وأما الحجر فعبد يعنى عبد المطلب ، وفاطمة بنت أسد » .

الجواب: هذا الحديث أورده ابن الجوزي في (الموضوعات) ثم قال: « هذا حديث موضوع بلا شك » .

الشبهة الرابعة: رُوِيَ عن ابن عباس قال: سمعت النبي يقول: « شفعت في هؤلاء النفر: في أبي وعمي أبي طالب وأخي من الرضاعة يعنى ابن السعدية ليكونوا من بعد البعث هباء » .

الجواب:

هذا الحديث أورده ابن الجوزي في (الموضوعات) ثم قال: « هذا حديث موضوع بلا شك » .

الشبهة الخامسة:

القول بأن أبي النبي في النار إيذاء له .

الجواب: هذا القول ليس فيه إيذاء له بل فيه

تصديق لقوله : « إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ ». (رواه

مسلم). وقد قال الإمام النووي / في شرحه لهذا الحديث

من صحيح مسلم في شرح (باب بَيَانِ أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى

الْكُفْرِ فَهُوَ فِي النَّارِ ، وَلَا تَنَالُهُ شَفَاعَةٌ وَلَا تَنْفَعُهُ قَرَابَةُ

الْمُقَرَّبِينَ): « فِيهِ : أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ فَهُوَ فِي النَّارِ ، وَلَا

تَنْفَعُهُ قَرَابَةُ الْمُقَرَّبِينَ .

وَفِيهِ أَنَّ مَنْ مَاتَ فِي الْفِتْرَةِ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ الْعَرَبُ

مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ . وَلَيْسَ هَذَا مُوَآخَذَةً

قَبْلَ بُلُوغِ الدَّعْوَةِ ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ كَانَتْ قَدْ بَلَغَتْهُمْ دَعْوَةُ

إِبْرَاهِيمَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ - صَلَوَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَسَلَامِهِ

عَلَيْهِمْ - .»

وهذا القول فيه أيضا تصديق لما رواه مسلم عن أبي

هَرِيرَةَ قَالَ: زَارَ النَّبِيَّ قَبْرَ أُمِّهِ ، فَبَكَى وَأَبَكَى مَنْ

حَوْلَهُ ، فَقَالَ: « اسْتَأذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ

لي ، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَرْوَرَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي ، فَزُورُوا الْقُبُورَ
فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ .»

قال الإمام النووي / في شرحه لهذا الحديث من
صحيح مسلم: « وَفِيهِ النَّهْيُ عَنِ الْإِسْتِغْفَارِ لِلْكَفَّارِ » .

وقد قال بقول الإمام النووي بكُفْرِ والدي النبي
الإمام مسلم ، والإمام أبو داود صاحب السنن ، والإمام
النسائي ، والإمام ابن ماجه ، والإمام أبو حنيفة النعمان ،
وشمس الدين السرخسي الحنفي ، وزكريا الأنصاري
الشافعي ، والقاضي عياض المالكي ، والبيهقي الشافعي
وابن الجوزي الحنبلي ، والحافظ ابن كثير الشافعي ، وشهاب
الدين القرافي المالكي .

وقد بسط الكلام في عدم نجاة والدي النبي
العلامة الحنفي الملا علي القاري في (شرح الفقه الأكبر) ،
وفي رسالة مستقلة أسماها: (أدلة معتقد أبي حنيفة الأعظم
في أبوي الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) ، نقل في أولها قول
الإمام أبي حنيفة في كتابه (الفقه الأكبر) : « ووالِدَا رَسُولِ
الله مَاتَا عَلَى الْكُفْرِ » .

وقد أثبت الملائة علي القاري في ذلك الكتاب تواتر الأدلة والأحاديث على صحّة معنى هذا الحديث وعدم نجاة والدي الرسول وقد نقل الإجماع على تلك القضية فقال: « وأما الإجماع فقد اتفق السلف والخلف من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وسائر المجتهدين على ذلك ، من غير إظهار خلافٍ لما هُنالك. والخلاف من اللاحق لا يقدر في الإجماع السابق ، سواء يكون من جنس المخالف أو صنف الموافق ».

وأخيراً لا بد أن يُعلم أن المقصود من الموضوع هو بيان أن اتهام الصوفية لمن يقول بموت أبوي الرسول على الكفر بأن « بينهم وبين رسول الله شيء » أو « أنهم يريدون نزع محبة محمد من قلوب العامة » - ما هو إلا تدليس وتلبيس على العامة ، وأن هذا الاتهام في الحقيقة متوجه لمن ذكرنا من العلماء لو التزم بذلك الصوفية.

إِلْفَضِكُ

السَّارِسِ عَشْرِينَ

الاحتفال بالمولد النبوي

لا يجوز الاحتفال بمولد النبي لأن ذلك من البدع المحدثه في الدين ، ويرجع ذلك - كما يقول الشيخ رشيد رضا / - إلى ذلك الاجتماع المخصوص بتلك الهيئه المخصوصه في الوقت المخصوص وإلى اعتبار ذلك العمل من شعائر الإسلام التي لا تثبت إلا بنص شرعي بحيث يظن العوام والجاهلون بالسنة أن عمل المولد من أعمال القُربِ المطلوبه شرعاً ، وعمل المولد بهذه القيود بدعة سيئه وجناية على دين الله تعالى وزيادة فيه تُعد من شرع ما لم يأذن به الله ومن الافتراء على الله والقول في دينه بغير علم.

وبدعة المولد النبوي حدثت بعد القرون الثلاثة المفضلة ، كما قال الحافظ ابن حجر ، والحافظ السخاوي. والاحتفال بالمولد فيه مشابهة للنصارى في احتفالهم بميلاد

المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

والمولد النبوي نفسه ، بمعنى وقت ولادته ، اختلف في تحديد يومه وشهره بين علماء المسلمين ممن كتب في السير والملاحم والتاريخ ، مع اتفاقهم على أنه يوم الاثنين كما ورد بذلك الخبر الصادق عن النبي .

ومن دَوَّن فيه وكتب من أهل العلم ، فليكونه من أحداث السيرة النبوية ، فيذكرون الإرهاصات السابقة لمولده ثم مولده ونشأته وحياته قبل البعثة وبعدها إلى يوم وفاته .

وأما الاحتفال بمولده فهو ممكن عقلاً لمن حضر ذلك اليوم الذي ولد فيه ، وأما بعده فلم يبق إلا حدثاً وسيرة كسائر الأحداث والسير التي مرت في حياته .
ومعلوم أن حياة النبي امتدت ثلاثة وستين عاماً ، منها أربعون قبل البعثة وثلاثة وعشرون بعدها ، فكل يوم فيها هو يوم من حياته الشريفة المباركة ولا يقل شرفاً ولا أهمية عن يوم ولادته بل قد يفضل عليه ، كيوم بعثته مثلاً .

والاحتفال بمولده بمعنى إحياء ذكرى ذلك اليوم واتخاذ عيداً يتكرر على الدوام ، لم يفعله صاحب الشأن نفسه ولم يُرغَّب فيه حتى مات ، ولم يفعله صحابته الكرام ولا أزواجه ولا أهل بيته ولا التابعون ولا أتباعهم ولا الأئمة الأعلام.

ومضت تلك القرون الفاضلة والأمر على ما هو عليه من ترك الأمة كلها من شرقها إلى غربها الاحتفال بذكرى المولد أو غيره من الأيام ، التي لا تقل عنه أهمية ، فهي جزء من حياة خير الأنام . هذا وقد كثرت مجالسهم في فنون العلم: في التفسير والحديث والفقه واللغة والأدب والشعر وسائر العلوم ، ولم يخصصوا مجلساً واحداً ولا محفلاً واحداً من تلك المحافل على تنوعها ، باحتفالٍ بذكرى أي يوم من تلك الحياة الشريفة الحافلة.

حتى إذا حدث النقص في الأمة في القرون التالية للقرون الفاضلة وتقلد زمام الأمر فيها فرقة باطنية ضالة ، أبطنت الكفر والزندقة وأظهرت الإسلام والتشيع ، وصارت لها دولة ، هي الدولة العبيدية ، وهي المسماة

بالدولة الفاطمية ، فأحدثت الاحتفال بذكرى المولد النبوي ، وكان ذلك في سنة ٣٦١هـ.

فتأمل - رحمك الله - كيف يمكن أن يُهْمِلَ خيرُ هذه الأمة وأبرُّها قلوبًا وأعمقُها علمًا وأقلها تكلفًا ، قُرْبَةً من أعظم القرب ، ويغفلون عنها ، ويتتابعون على هذا الإهمال وذلك الإغفال كابرًا بعد كابر ، وجيلًا بعد جيل ، ثم يهتدي إليه ويسبقهم إليه أصحاب تلك النحلة الخبيثة الباطنية!!!

وإنْ تَعَجَّبْ ، فَعَجَبٌ قول بعض الناس (إن لنا على ذلك الاحتفال أدلة) ، أوصلها بعضهم إلى أكثر من عشرين دليلًا ، بعضها من القرآن وبعضها من السنة وبعضها أدلة عقلية!! وكيف فات النبي استنباطها من القرآن وهو ينزل عليه ، ومن السنة وهو الناطق بها؟

ثم كيف فات أكابر الصحابة وعلماءهم وفضلاءهم ، والله تعالى يقول: (وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) (النساء: ٨٣)؟

وقل مثل ذلك في التابعين والأئمة الأربعة وغيرهم
من علماء الأمة ، كيف غابت عنهم معاني تلك النصوص
ولم يفهموها ، وهم أساطين العلم والفهم والعقل ؟
إنَّ ما يحدثه بعض الناس ، إما مضاهاة للنصارى في
ميلاد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وإما محبةً للنبي وتعظيمًا ،
والله عَزَّوَجَلَّ قد يشبههم على هذه المحبة والاجتهاد - لا على
البدع - من اتخاذ مولد النبي عيدًا ، مع اختلاف الناس
في مولده ، فإن هذا لم يفعله السلف ، مع قيام المقتضي له
وعدم المانع منه لو كان خيرًا ، ولو كان هذا خيرًا محضًا ،
أو راجحًا لَكَانَ السلفُ أحق به منا ، فإنهم كانوا
أشدَّ محبة لرسول الله وتعظيمًا له منا ، وهم على الخير
أحرص .

وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع
أمره ، وإحياء سنته باطنًا وظاهرًا ، ونشر ما بعث به ،
والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان ، فإن هذه طريقة
السابقين الأولين ، من المهاجرين والأنصار ، والذين
اتبعوهم بإحسان .

الرد على الشبهات:

الشبهة الأولى: قال بعض العلماء أن الاحتفال

بالمولد بدعة حسنة ، وجرى به العمل في كل البلاد.

الجواب:

من المعلوم أن رسول الله قَضَى وَقَرَّرَ بِأَنْ كُلَّ
بدعة ضلالة ، ولم يردْ نَصٌّ مِنْ كِتَابِ أَوْ سَنَةِ يُمْكِنُ أَنْ
يُسْتَنَّدَ إِلَيْهِ فِي تَقْسِيمِ الْبَدْعَةِ إِلَى حَسَنَةٍ وَسَيِّئَةٍ.

الشبهة الثانية:

قول البعض إن الاحتفال بالمولد من البدع الحسنة
التي يثاب عليها صاحبها لما فيه من تعظيم قدر النبي
وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف.

الجواب:

١- ما الدليل على أن الاحتفال بالمولد من البدع
الحسنة التي يثاب عليها صاحبها؟ وما هو مقدار هذا
الثواب؟ وهل نحن أحرص من الصحابة والتابعين على
هذا الثواب؟ وهل نحن أكثر تعظيماً لقدر النبي منهم؟
فهم لم يحتفلوا ، ولو كان خيراً لسبقونا إليه.

٢- تعظيم قدر النبي يكون باتباع هديه وليس باختراع عبادات لم يشرعها فإن ذلك فيه اتهام له بأنه قصر في تبليغ الرسالة أو أن الرسالة لم تكتمل ، وإذا كان الصحابة لم يفعلوا المولد فهل معنى ذلك أنهم كانوا لا يعظمون قدر النبي ؟

٣- الشهر الذي يحتفلون فيه بمولد نبينا محمد هو بعينه الشهر الذي توفي فيه ، فليس الفرح فيه بأولى من الحزن فيه ، نَبَّهَ على ذلك غير واحد من أهل العلم.

الشبهة الثالثة:

عندما سُئِلَ النبي عن صوم يوم الاثنين قال: « ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ » (رواه مسلم) ، فتشريف هذا اليوم متضمن تشريف هذا الشهر الذي ولد فيه ، ألا ترى أن صوم هذا اليوم فيه فضل عظيم ؛ لأنه ولد فيه؟ وإقامة المولد شكر لله تعالى على نعمة ولادة الرسول . وصيام النبي بمعنى الاحتفال به ، إلا أن الصورة مختلفة ، ولكن المعنى موجود.

الجواب:

١- صوم النبي يوم الاثنين ليس دليلاً على بدعة الاحتفال بالمولد فقد سُئِلَ عن صوم يوم الاثنين؟ فقال: « ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ ، أَوْ أُنزِلَ عَلَيَّ فِيهِ » (رواه مسلم) ، فالرسول لم يصم يوم ولادته وهو اليوم الثاني عشر من ربيع الأول إن صح أنه ذلك اليوم ، بل كان يصوم ذلك اليوم (يوم الاثنين) من كل أسبوع وعلى طول الشهر ، وعلى مدى العام كله ، ولم يكن ذلك مرة واحدة في العام ، فأين هذا مما يفعله المسلمون اليوم؟

ولو كان احتفالاً كما يزعم الزاعمون لاختلقت الكيفية ، كأن يجتمع الصحابة مع رسول الله ، ويتسابقون في إلقاء الخطب والأناشيد كما هو حال الكثير من المسلمين اليوم ، لكن شيئاً من ذلك لم يحدث.

٢- النبي لم يكن يخص اليوم الثاني عشر من ربيع الأول - إن صح أن ذلك هو يوم مولده - بالصيام ولا بشيء من الأعمال دون سائر الأيام ، ولو كان يعظم يوم

مولده ، كما يزعمون لكان يتخذ ذلك اليوم عيداً في كل سنة ، أو كان يخصه بالصيام أو بشيء من الأعمال دون سائر الأيام.

وفي عدم تخصيصه بشيء من الأعمال دون سائر الأيام دليل على أنه لم يكن يفضل على غيره وقد قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (الأحزاب: ٢١).

٣- النبي علق صيامه يوم الاثنين بسببين:

أ- أنه ولد يوم الاثنين.

ب- يوم الاثنين بعث فيه إلى النبي .

فلماذا يحتفلون بواحدة ويتركون الأخرى؟

الشبهة الرابعة:

أن النبي عتق عن نفسه بعد النبوة ، مع أنه ورد أن جده عبد المطلب عتق عنه في سابع ولادته ، والعقيقة لا تعاد مرة ثانية ، فيحمل ذلك على أن هذا فعله إظهاراً للشكر على إيجاد الله تعالى إياه رحمة للعالمين ، فيستحب لنا

أيضاً إظهار الشكر بمولده بالاجتماع وإطعام الطعام ونحو ذلك من وجوه القربات.

الجواب:

ما روى أن النبي عق عن نفسه غير صحيح ولم يثبت ، فقد ضعفه الأئمة مالك ، وأحمد بن حنبل ، والبزار ، والبيهقي ، والنووي ، والحافظ المزي والحافظ الذهبي ، والحافظ ابن حجر.

الشبهة الخامسة:

وجود الرسول سبب النجاة لمن اتبعه ، وتقليل حظ جهنم لمن أعدّها ، لفرحه بولادته ، فمن المناسب إظهار السرور. قَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزَّبِيرِ: « وَثُوْبِيَّةٌ مَوْلَاةٌ لِأَبِي هَبٍّ كَانَ أَبُو هَبٍّ أَعْتَقَهَا فَأَرْضَعَتْ النَّبِيَّ فَلَمَّا مَاتَ أَبُو هَبٍّ أَرِيَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ بِشَرِّ حَبِيَّةٍ ، قَالَ لَهُ : « مَاذَا لَقِيتَ ؟ » ، قَالَ أَبُو هَبٍّ : « لَمْ أَلْقَ بَعْدَكُمْ غَيْرَ أَنِّي سُقِيتُ فِي هَذِهِ بَعْتَاقَتِي ثُوْبِيَّةَ » (رواه البخاري). (بِشَرِّ حَبِيَّةٍ: أَي سَوْءِ حَالٍ).

الجواب:

١ - اتباع النبي سبب النجاة وليس ابتداء أعياد

ما أنزل الله بها من سلطان.

٢- هذا الخبر لا يصح ؛ لأنه مرسل ، قال الحافظ ابن حجر: « الْخَبْرُ مُرْسَلٌ أَرْسَلَهُ عُرْوَةُ وَلَمْ يَذْكُرْ مَنْ حَدَّثَهُ بِهِ ». (والمقصود الجزء الذي ذكرناه ، أما المنسوب إلى النبي والذي لم نذكره فلا).

٣- ذلك الخبر لا حجة فيه لو كان موصولاً لأنه رؤيا منام وقد يكون من رآها من الكفار ، قال الحافظ ابن حجر: « وَعَلَى تَقْدِيرِ أَنْ يَكُونَ مَوْصُولًا فَالَّذِي فِي الْخَبْرِ رُؤْيَا مَنَامٍ فَلَا حُجَّةَ فِيهِ وَلَعَلَّ الَّذِي رَأَاهَا لَمْ يَكُنْ إِذْ ذَاكَ أَسْلَمَ بَعْدُ فَلَا يُجْتَبُ بِهِ ».

الشبهة السادسة:

الاحتفال بالمولد النبوي تذكير بأهمية صاحب الذكرى الذي أرسله الله رحمة للعالمين ، وأمر الجميع باتباعه ، ومن أجل ذلك ، ولأن العهد بين زمنهم وزمنه بعيد فإنهم يتخذون من هذا الاحتفال تذكيراً به وبما جاء به من الحق والخير ، الذي سعدت به البشرية حيث أخرجها من ظلمات الشرك والجهل إلى نور التوحيد والعدل ، ودفعا للصيبة

الصغار وغيرهم من العامة إلى استشعار محبة صاحب هذه الرسالة والالتفاف حول دعوته ، ولتذكير الجميع بها على أساس قوله تعالى: (وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى نُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) (الذاريات: ٥٥).

الجواب:

إن كان المراد إحياء الذكرى لرسول الله فإن الله تعالى قد تولى ذلك بأوسع نطاق حيث قرن ذكره مع ذكره تعالى في الشهادتين ، مع كل أذان على كل منارة من كل مسجد ، وفي كل إقامة لأداء صلاة ، وفي كل تشهد في فرض أو نفل مما يزيد على الثلاثين مرة جهراً وسراً ، جهراً يملأ الأفق ، وسراً يملأ القلب والحس.

ثم تأتي الذكرى العملية في كل صغيرة وكبيرة في المأكل باليمين ؛ لأنه السنة ، وفي الملبس في التيامن لأنه السنة ، وفي المضجع على الشق الأيمن لأنه السنة ، وفي إفشاء السلام وفي كل حركات العبد وسكناته إذا راعى فيها أنها السنة عن النبي .

وإن كان المراد التعبير عن المحبة ، والمحبة هي عنوان الإيمان الحقيقي ، كما قال : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » (رواه البخاري). فإن حقيقة المحبة طاعة من تحب ، وفعل ما يحبه وترك ما لا يرضاه أو لا يحبه.

وإن كان المراد مقابلة فكرة بفكرة. فالواقع أنه لا مناسبة بين السبين ولا موجب للربط بين الجانبين لبعدهما ، كبعد الحق عن الباطل والظلمة عن النور.

ومع ذلك ، فإن كان ولا بد فلا موجب للتقييد بزمن معين بل العام كله لإقامة الدراسات في السيرة وتعريف المسلمين الناشئة منهم والعوام وغيرهم بما تريده من دراسة للسيرة النبوية.

الْفَضْلُ

السَّبَّاحِ عَشْرِينَ

موالد الأولياء والصالحين

قد جاء عن النبي النهي عن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين عيدًا ، عموما وخصوصًا. فأما العموم: فقال رسول الله : «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا ، وَلَا تَجْعَلُوا قُبُورِي عِيدًا ، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ» . (رواه أبو داود وصححه الألباني)

ووجه الدلالة: أن قبر رسول الله أفضل قبر على وجه الأرض ، وقد نهى عن اتخاذه عيدًا. فقبر غيره أولى بالنهي كائنًا من كان ، ثم إنه قرَن ذلك بقوله : « لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا » أي لا تعطلوها عن الصلاة فيها والدعاء والقراءة ، فتكون بمنزلة القبور ، فأمر بتحريم العبادة في البيوت ، ونهى عن تحريمها عند القبور ، عكس ما يفعله المشركون من النصارى ومن تشبه بهم. ثم إنه

أعقب النهي عن اتخاذه عيداً بقوله: « وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ » يشير بذلك إلى أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبوري وبُعْدِكُمْ منه فلا حاجة بكم إلى اتخاذه عيداً.

والأحاديث عنه بأن صلاتنا وسلامنا تعرض عليه كثيرة: مثل ما روى أبو داود عن أبي هريرة أن رسول الله قال: « مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ » . (وهذا الحديث على شرط مسلم وحسنه الألباني). وفي النسائي وغيره أنه قال: « إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ » (صححه الألباني).

والعيد إذا جُعِلَ اسماً للمكان فهو المكان الذي يقصد الاجتماع فيه ، وإتيانه مرة بعد مرة للعبادة عنده ، أو لغير العبادة ، كما أن المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة ، جعلها الله عيداً ، مثابة للناس ، يجتمعون فيها ، ويتابونها ، للدعاء والذكر والنسك ، وكان للمشركين أمكنة يتتابونها للاجتماع عندها. فلما جاء الإسلام محى الله ذلك كله.

وهذا النوع من الأمكنة يدخل فيه قبور الأنبياء
والصالحين ، والقبور التي يجوز أن تكون قبورًا لهم ، بتقدير
كونها قبورًا لهم. بل وسائر القبور أيضًا داخلة في هذا. فإن
قبر المسلم له من الحرمة ما جاءت به السنة ، إذ هو بيت
المسلم الميت ، فلا يترك عليه شيء من النجاسات بالاتفاق
ولا يُوطأ ولا يُداس ، ولا يُتَّكَأ عليه عند جمهور العلماء ، ولا
يجاور بما يؤذي الأموات ، من الأقوال والأفعال الخبيثة ،
ويستحب عند إتيانه السلام على صاحبه ، والدعاء له ،
وكلما كان الميت أفضل ، كان حقه أوكد.

أَسْئَلَةُ تَنْتَظِرِ الْإِجَابَةِ

* حرم الله عَزَّوَجَلَّ الدعاء لغير الله والنذر لغير الله والذبح لغير الله ، وَعَدَّ كل هذا من الشرك الذي هو أكبر الكبائر. وفي الموالد يُفعل كل هذا وأكثر ، فهل هذا من الإسلام؟! **!! قَالَ تَعَالَى: (إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) (فاطر: ١٤).**

* الطواف عبادة جعلها الله عَزَّوَجَلَّ مقتصرة على مكان واحد فقط هو البيت الحرام ، ولكن في الموالد هناك من يطوفون حول قبور الأولياء ، فهل هذا من الإسلام؟! **!!**

* نهى رسول الله عن شد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى. ولكن في الموالد تُشَدُّ الرحال إلى قبور الأولياء ، فهل هذا من الإسلام؟! **!!**

* نهى رسول الله عن الاختلاط بين الرجال والنساء ، وفي الموالد يحدث الاختلاط المحرم في الشوارع وفي الخيام وفي المساجد!!! وفي دورات المياه!!! ، فهل هذا من الإسلام!!؟

* حرم الله عَزَّوَجَلَّ القمار. وفي الموالد تنصب موائد القمار ، فهل هذا من الإسلام!!؟

* حرم الله عَزَّوَجَلَّ السحر. وفي الموالد تُنْصَبُ السروك وفيها فقرات السحر ، فهل هذا من الإسلام!!؟

* حرم الله عَزَّوَجَلَّ التبرج والعري. وفي الموالد تقام الحفلات الراقصة ، وتصعد الراقصات الساقطات على شرفات المسرح ليرى الناس أجسادهن ، فهل هذا من الإسلام!!؟

* يدخن الزوار في الموالد الشيثة والحشيش ويجلسون في الخيام وقت الصلاة يتطوحون ويتمايلون ويرقصون ، فهل هذا من الإسلام!!؟

* أعياد المسلمين هي عيد الفطر وعيد الأضحى كما
أخبرنا الصادق المصدوق . فمن أين أتى أصحاب
الموالد بهذه الأعياد الجديدة ؛ ليحتفلوا بكل ما هو حرام
ومخالف لشرع الله عزَّوجلَّ؟!!

* وإذا كان هذا الفعل صحيحًا ، فأين مولد سيدنا
عمر بن الخطاب ؟ وأين مولد عثمان بن عفان ؟
وأين مولد عمر بن عبد العزيز؟ وأين مولد الإمام البخاري
والإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل؟!!

الفصل الثامن عشر، عشرين

هل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

خلق من نور؟ وهل هو أول مخلوقات الله سبحانه وتعالى؟

من المعلوم أن الإيمان بالرسول من أركان الإيمان الستة كما جاء في حديث جبريل لما سأل النبي عن الإيمان قال: « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ » (متفق عليه) ، وقد وصف الله عزَّوجلَّ الرسول عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في القرآن بأنهم بشر اختارهم لدعوة الناس إليه وأنهم كانوا يأكلون الطعام وكانوا يعالجون المعاش والسعي في الأرض كبقية البشر ، ولم يكن أحد منهم يعلم الغيب ، أو يتصرف في الأكوان كما يشاء.

لقد كانت سيرة الرسول عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وعلى رأسهم سيدنا محمد مَبِينَةً أنهم بشر قاسوا ما قاساه البشر من

الآلام والأسقام والأوجاع والفتن والبلايا وتضرعوا إلى ربهم ودعوه ، وخافوه ، وأحبهه كذلك وطلبوا نصرته وعونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وكان خاتمهم وخيرهم محمد أكمل الرسل في تحقيق عبودية الله عَزَّوَجَلَّ على نفسه ؛ فقد قام من الليل حتى تفترت قدماه ، وأوذى بالله أشد الأذى .

ومن قرأ القرآن ، وعلم شيئاً من الإسلام ، ودرس سيرة الرسول حصل له العلم الضروري الذي لا يدافع بأن محمداً هو عبد الله ورسوله ، وأنه وُجد يوم وُجد على الأرض بشراً كالbشر لا علم له بشيء مما كان في الملائكة الأعلى ؛ كما قال تعالى: (قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِقُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) (ص: ٦٧-٧٢).

فالرسول أمره الله عَزَّوَجَلَّ أن يقول هنا: (مَا كَانَ

لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ) والملائكة هم الملائكة

عندما أمرهم الله بالسجود لآدم فسجدوا إلا إبليس فكان
بينه وبين الرب عزَّوجلَّ ما كان مما قصَّه على رسوله ومما
لم يكن عن الرسول قبل بعثته وقبل نزول هذا الوحي أو في
علم منه.

وقد حدث للنبي مئات الوقائع التي تدل يقيناً
أنه لم يكن يعلم في الغيب إلا ما أعلمه الله إياه. ومن هذه
الوقائع أنه لم يعرف أن الذي أتاه في غار حراء هو جبريل
الملك عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى أخبره ورقة بن نوفل.

فلو كان جبريل مخلوقاً من نور الرسول - كما
زعمت المتصوفة - لقال الرسول لجبريل عندما نزل
إليه: أهلاً بمن خلقه الله من نوري.

وَقَالَ تَعَالَى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ
إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ
بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (الكهف: ١١٠)

الرد على الشبهات:

الشبهة الأولى:

قَالَ تَعَالَى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ) (المائدة: ١٥).

الجواب:

قد اختلف العلماء في المقصود بالنور في هذه الآية ، هل هو الإسلام أم القرآن أم رسول الله ؟ والمقصود بالنور في هذه الآية النور المعنوي ، وهو نور الهداية كما ذكر الطبري وابن كثير والقرطبي وغيرهم. وكونه نوراً أمراً معنوي ، مثل تسمية القرآن نوراً ، قَالَ تَعَالَى: (فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (التغابن: ٨).

الشبهة الثانية: ما ورد في مسند الإمام أحمد وغيره أنَّ أُمَّ رَسُولِ اللَّهِ رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْهُ نُورًا أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورَ الشَّامِ « (صَحَّحَهُ الْأَرْنَؤُوطُ). وما رواه الإمام أحمد عن أبي أُمَامَةَ قَالَ: قُلْتُ: « يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، مَا كَانَ أَوَّلَ بَدْءِ أَمْرِكَ؟ » ، قَالَ: « دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ، وَبُشْرَى عَيْسَى ، وَرَأْتُ أُمِّي أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورَ الشَّامِ ». (صَحَّحَهُ الْأَرْنَؤُوطُ).

الجواب:

هذه رؤيا منام وليس فيها أن النبي كان نورًا حسيًا. ويؤيد ذلك قوله : « أَخَذَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ مِنِّي الْمِيثَاقَ كَمَا أَخَذَ مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ ، وَبَشَّرَ بِي عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، وَرَأْتُ أُمِّي فِي مَنَامِهَا أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهَا سِرَاجٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ # . (رواه الطبراني وغيره ، وحسنه الألباني).

الشبهة الثالثة:

ما ورد عن بعض الصحابة من أن وجه النبي كان مثل القمر. سئل البراء: « أَكَانَ وَجْهُ النَّبِيِّ مِثْلَ السَّيْفِ؟ قَالَ: « لَا ، بَلْ مِثْلَ الْقَمَرِ » (رواه البخاري).

الجواب:

هذا تشبيه ، قال الحافظ ابن حجر / : « كَأَنَّ السَّائِلَ أَرَادَ أَنَّهُ مِثْلُ السَّيْفِ فِي الطُّولِ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ الْبَرَاءُ فَقَالَ: « بَلْ مِثْلُ الْقَمَرِ » أَي فِي التَّدْوِيرِ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ مِثْلَ السَّيْفِ فِي اللَّمَعَانِ وَالصِّقَالِ؟ فَقَالَ: بَلْ فَوْقَ ذَلِكَ ، وَعَدَلَ إِلَى الْقَمَرِ لِحَمِّهِ الصِّفَتَيْنِ مِنَ التَّدْوِيرِ وَاللَّمَعَانِ » اهـ.

ومثل حديث البراء حديث كعب بن مالك أنه قال « ... وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا سَرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ ».

وهذا تشبيه لحال النبي حال السرور.

الشبهة الرابعة:

حديث: « كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في

البعث ».

الجواب: هذا حديث موضوع.

الشبهة الخامسة: حديث: (كنت نبيا وآدم بين

الماء والطين). وفي رواية: (كنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين).

الجواب:

هذا حديث موضوع.

الشبهة السادسة: قوله : « كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ

بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ ». (رواه الحاكم والطبراني وغيرهما ، وصححه الحاكم والذهبي والألباني).

الجواب:

هذا الحديث لا شاهد فيه على عقائد الصوفية ، وإنما

يعني أن الرسول قد قدر الله عزَّوَجَلَّ كَوْنَهُ نَبِيًّا عندما

خُلِقَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ولا شك أن الأنبياء جميعًا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

نُبُوَّتُهُمْ ثابتة في تقدير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وقضائه. والله عزَّوَجَلَّ

قد قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض

بخمسين ألف سنة كما جاء في الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ

يَقُولُ: « كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ » (رواه مسلم).

ويؤيد هذا الفهم لحديث: « كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ
الرُّوحِ وَالْجَسَدِ » قوله : « إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ فِي أُمَّ الْكِتَابِ
لِحَاتَمِ النَّبِيِّينَ ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ ». (رواه
الحاكم ، وصححه ، ووافقه الذهبي). قال البيهقي: « يريد
أنه كان كذلك في قضاء الله وتقديره قبل أن يكون أبو البشر
وأول الأنبياء صلوات الله عليهم ».

الشبهة السابعة: حديث (أول ما خلق الله نور

نبيك يا جابر).

الجواب: هذا الحديث موضوع.

إِذَا سَمِعْتَ عَشْرًا

كِرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ

الكِرَامَاتُ:

الكِرَامَةُ أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ يُظْهِرُهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَى يَدِ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ حَيًّا أَوْ مَيِّتًا ؛ إِكْرَامًا لَهُ فَيُدْفَعُ بِهِ عَنْهُ ضَرًّا أَوْ يَحْقُقُ لَهُ نَفْعًا أَوْ يَنْصُرُ بِهِ حَقًّا ، وَذَلِكَ الْأَمْرُ لَا يَمْلِكُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَنْ يَأْتِيَ بِهِ إِذَا أَرَادَ كَمَا أَنَّ النَّبِيَّ لَا يَمْلِكُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْمُعْجِزَةِ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ ، بَلْ كُلُّ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَحْدَهُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ) (العنكبوت: ٥٠).

والكِرَامَةُ غَيْرُ مَقْرُونَةٍ بِدَعْوَى النُّبُوَّةِ ، وَهِيَ فِي حَقِيقَتِهَا تَأْيِيدٌ وَتَأْكِيدٌ لِرِسَالَةِ الرَّسُولِ بِاعْتِبَارِ أَنَّ اللَّهَ أَظْهَرَهَا عَلَى يَدِ صُلَحَاءِ أُمَّتِهِ ، وَتَابِعِ مِنْ أَتْبَاعِهِ.

معنى الولي:

أولياء الله هم أهل الإيمان والتقوى ، الذين يراقبون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي جَمِيعِ شَأُونِهِمْ ، فَيَلْتَزِمُونَ أَمْرَهُ ، وَيَجْتَنِبُونَ نَوَاهِيَهُ. قَالَ تَعَالَى: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (يونس: ٦٢-٦٤).

قال الحافظ ابن كثير / : « يخبر تعالى أن أولياءه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون ، كما فسرهم ربهم ، فكل من كان تقياً كان لله ولياً : أنه (لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ) فيما يستقبلون من أهوال القيامة ، (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) على ما وراءهم في الدنيا .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ عِبَادًا يَعْبُطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ » ، قِيلَ : « مَنْ هُمْ ؟ لَعَلَّنَا نُحِبُّهُمْ » .

قَالَ : « هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِنُورِ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ أَرْحَامٍ وَلَا أَنْسَابٍ ، وَجُوهُهُمْ نُورٌ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ ، لَا يَخَافُونَ إِنْ خَافَ النَّاسُ ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِنْ حَزِنَ النَّاسُ » ، ثُمَّ قَرَأَ :
(أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) . (رواه ابن حبان ، وأبو يعلى ، وصححه الألباني).

والولاية متفاوتة بحسب إيمان العبد وتقواه ، فكل مؤمن له نصيب من ولاية الله عَزَّوَجَلَّ ومحبته وقُرْبِهِ ، ولكن هذا النصيب يتفاوت بحسب الأعمال الصالحة البدنية والقلبية التي يتقرب بها إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وعليه يمكن تقسيم درجات الولاية إلى ثلاث درجات :

١- درجة الظالم لنفسه: وهو المؤمن العاصي بترك مأمور أو فعل محظور ، فهذا له من الولاية بقدر إيمانه وأعماله الصالحة.

٢- المقتصد: وهو المؤدي للواجبات والتارك للمحرمات. وهو المؤمن الذي يحافظ على أوامر الله ،

ويجتنب معاصيه ، ولكنه لا يجتهد في أداء النوافل : وهذا أعلى درجة في الولاية من سابقه.

٣ - السابق بالخيرات: وهو التارك للمحرم والمكروه ، والمتقرب بما يقدر عليه من فعل واجب ومستحب ؛ فيأتي بالنوافل مع الفرائض ، فهذا في درجات الولاية العالية. ولا شك أن النبوة هي أعلى وأرقى درجات الولاية لله عزَّوَجَلَّ.

والولاية ليست حكراً على أحد ، وليست علامة مميّزة لطبقة معينة من الناس ، ولا تُنال بالتوراث ولا بالأوسمة ، بل هي رُتبة ربانيّة تبدأ بالقلب محبةً وتعظيماً لله عزَّوَجَلَّ ، وتُترجم إلى واقع عملي ، فيكسب صاحبها حب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وولايته.

والولاية لا تبيح لصاحبها فعلَ المحرمات ولا تركَ الواجبات ، بل إن فعلَ العبدِ المحرمات فهو دليلٌ على نقص ولايته لله عزَّوَجَلَّ ، وكذلك لا تبيح لأحد أن يتوجه إلى مَنْ يُسَمَّونَ بالأولياء - وقد لا يكونون يستحقون ذلك -

فيرفعونهم إلى مقام النبوة فلا يُردُّون لهم أمراً ، ولا يناقشون لهم فكراً ولا رأياً ، وهذا كله من الغلو الذي نهى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُ ، ومن أعظم أسباب وقوع الشرك في الناس .

وقد يتعدى بعض الناس هذا الحد فيقع في الشرك الأكبر بسبب الفهم الخاطيء للولاية ومنزلة الأولياء فتراه يدعوهم من دون الله ويذبح لهم ويقدم لهم القرابين^(١) .

أمثلة للكرامات:

أولاً: ما ثبت من كرامة لأهل الكهف ، وهم فتية آمنوا بالله عَزَّوَجَلَّ ، وفروا بدينهم من ظلم ملك كافر كان في زمانهم ، فأووا إلى كهف في جبل ، فأنامهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

(١) تَنْبِيْهُنَا: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الْقَوْلُ قَدْ يَكُونُ كُفْرًا فَيُطْلَقُ الْقَوْلُ بِتَكْفِيرِ صَاحِبِهِ ، وَيُقَالُ مَنْ قَالَ كَذَا فَهُوَ كَافِرٌ ، لَكِنَّ الشَّخْصَ الْمُعَيَّنَ الَّذِي قَالَهُ لَا يُحْكَمُ بِكُفْرِهِ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ الَّتِي يَكْفُرُ تَارِكُهَا» . (مجموع الفتاوى ٣٤٥ / ٢٣).

ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً ، ثم أيقظهم من نومهم الطويل ، وقد ذُكِرَتْ قصتهم في سورة الكهف.

ثانياً: ثبوت الكرامة لمريم عَلَيْهَا السَّلَامُ:

الكرامة الأولى: أن نبي الله زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ يدخل عليها في محرابها فيجد عندها رزقاً دون أن يأتي به إنسان ودون سبب مادي.

الكرامة الثانية: وهي حملها بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ دون أن يمسها بشر.

الكرامة الثالثة: لما حملت به عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ابتعدت عن منازل أهلها ، فلما جاءها مخاض الولادة جلست إلى جذع نخلة غير مثمرة ، فهزتها فتساقط من الشجرة رطباً طرياً صالحاً للاجتناء والأكل.

الكرامة الرابعة: لما وضعت ابنها عيسى ابن مريم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وأتت به إلى قومها وأخبرتهم أنه ابنها ، كان الأمر صعباً عليهم تصديق هذه الخارقة فاتهموها اتهامات وجرحوها بكلماتهم ، وهي صامته لا تتكلم وألحوا في

استجوابها عن سبب حَمَلِهَا الذي لم يتصور كثير منهم فيه إلا الفاحشة ، وهي منها براء ، فلما ضاق حالها وانحصر المجال ، واحتارت في أمرها ، عظم توكلها على الله ذي الجلال والإكرام ، ولم يبق إلا الإخلاص والاتكال ، فأشارت إلى طفلها عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى يخاطبوه ويكلموه ، فعندها استغربوا الأمر ، وقالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيًّا ، وهو لا يميز بالأمور فظنوا أنها تستهزئ بهم ، عندها تكلم ونطق وقال: (إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا) (مريم: ٣٠).

ثالثًا: قصة ثلاثة نفر من الأمم السابقة ،

انطلقوا حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه ، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم مدخل الغار فدعوا الله بصالح أعمالهم فانفرجت الصخرة بسبب صالح دعواتهم وخرجوا من الغار يمشون (رواه البخاري ومسلم).

رابعاً: كرامت أسيد بن حضير وعباد بن

بشر رضي الله عنهما:

عن أنس بن مالك أن أسيد بن حضير ورجلاً
آخر من الأنصار، تحدثا عند رسول الله
ليلة في حاجة لهما، حتى ذهب من الليل ساعة، وليلة شديدة الظلمة، ثم
خرجا من عند رسول الله ينقلبان، وبيد كل واحد
منهما عصية، فأضأت عصا أحدهما لهما حتى مشيا في
ضوئها، حتى إذا افترق بهما الطريق أضأت للآخر عصاه،
فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ إلى أهله.
(رواه الإمام أحمد في المسند، وصححه الأرئووط).

الفرقان بين

أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (١)

لا يكون الإنسان ولياً لله عَزَّوَجَلَّ إلا إذا كان مؤمناً تقياً لقوله تعالى: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) (يونس: ٦٢ - ٦٣)، ولا يكون مؤمناً تقياً حتى يتقرب إلى الله بالفرائض فيكون من الأبرار أهل اليمين ، ثم بعد ذلك لا يزال يتقرب بالنوافل حتى يكون من السابقين المقربين فمعلوم أن أحداً من الكفار والمنافقين لا يكون ولياً لله عَزَّوَجَلَّ.

وقد عَلِمَ أن الكفار والمنافقين - من المشركين وأهل الكتاب - لهم مكاشفات وتصرفات شيطانية كالكهان والسحرة وعباد المشركين وأهل الكتاب ، فلا يجوز لأحد أن

(١) باختصار وتصرف من كتاب (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) لشيخ الإسلام ابن تيمية . /

يستدل بمجرد ذلك على كون الشخص ولياً لله عزَّوَجَلَّ وإن لم يعلم منه ما يناقض ولاية الله فكيف إذا علم منه ما يناقض ولاية الله؟! مثل أن يعلم أنه لا يعتقد وجوب اتباع النبي باطناً وظاهراً ، بل يعتقد أنه يتبع الشرع الظاهر دون الحقيقة الباطنة. أو يعتقد أن لأولياء الله طريقاً إلى الله غير طريق الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

أو يقول: إن الأنبياء ضيقوا الطريق أو هم على قدوة العامة دون الخاصة ونحو ذلك مما يقوله بعض من يدعي الولاية فهؤلاء فيهم من الكفر ما يناقض الإيمان فضلاً عن ولاية الله عزَّوَجَلَّ. فمن احتج بما يصدر عن أحدهم من خرق عادة على ولايتهم كان أضل من اليهود والنصارى.

فعلى هذا فمن أظهر الولاية وهو لا يؤدي الفرائض ولا يجتنب المحارم - بل قد يأتي بما يناقض ذلك - لم يكن لأحد أن يقول هذا ولي الله عزَّوَجَلَّ.

وليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات ، فلا يتميزون بلباس دون

لباس إذا كان كِلَاهُمَا مَبَاحًا وَلَا بِحَلْقِ شَعْرٍ أَوْ تَقْصِيرِهِ أَوْ
ظْفَرِهِ إِذَا كَانَ مَبَاحًا ، بَلْ يَوْجِدُونَ فِي جَمِيعِ أَصْنَافِ أُمَّةِ
مُحَمَّدٍ إِذَا لَمْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ الظَّاهِرَةِ وَالْفُجُورِ ،
فَيُوجِدُونَ فِي أَهْلِ الْقُرْآنِ وَأَهْلِ الْعِلْمِ وَيُوجِدُونَ فِي أَهْلِ
الْجِهَادِ وَالسَّيْفِ وَيُوجِدُونَ فِي التَّجَارِ وَالصَّنَاعِ وَالزَّرْعِ .
وَأَوْلِيَاءَ اللَّهِ يَجِبُ عَلَيْهِمُ الْإِعْتِصَامُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ
وَلَيْسَ فِيهِمْ مَعْصُومٌ يَسُوعٌ لَهُ أَوْ لغيره اتِّبَاعٌ مَا يَقَعُ فِي قَلْبِهِ
مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارٍ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَهَذَا مِمَّا اتَّفَقَ عَلَيْهِ أَوْلِيَاءُ
اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ .

مَنْ خَالَفَ فِي هَذَا فَلَيْسَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
الَّذِينَ أَمَرَ اللَّهُ بِاتِّبَاعِهِمْ ، بَلْ إِمَّا أَنْ يَكُونَ كَافِرًا وَإِمَّا أَنْ
يَكُونَ مُفْرَطًا فِي الْجَهْلِ .

وَكثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَغْلَطُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فَيُظَنُّ فِي
شَخْصٍ أَنَّهُ وَلِيُّ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَيُظَنُّ أَنْ وَلِيَّ اللَّهِ يُقْبَلُ مِنْهُ
كُلُّ مَا يَقُولُهُ ، وَيُسَلِّمُ إِلَيْهِ كُلُّ مَا يَقُولُهُ ، وَيُسَلِّمُ إِلَيْهِ كُلُّ مَا
يَفْعَلُهُ وَإِنْ خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ ، فَيُؤَافِقُ ذَلِكَ الشَّخْصَ

ويخالف ما بعث الله عزَّوَجَلَّ به رسوله الذي فرض الله على جميع الخلق تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر وجعله الفارق بين أوليائه وأعدائه وبين أهل الجنة وأهل النار وبين السعداء والأشقياء ، فمن اتبعه كان من أولياء الله المتقين وجنده المفلحين وعباده الصالحين ، ومن لم يتبعه كان من أعداء الله الخاسرين المجرمين فتجره مخالفة الرسول وموافقة ذلك الشخص أولاً إلى البدعة والضلال وآخرًا إلى الكفر والنفاق.

وتجد كثيرًا من هؤلاء عمدتهم في اعتقاد كونه وليًا لله أنه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الأمور أو بعض التصرفات الخارقة للعادة مثل أن يشير إلى شخص فيموت ، أو يطير في الهواء إلى مكة أو غيرها أو يمشي على الماء أحيانًا ، أو أن يختفي أحيانًا عن أعين الناس ، أو أن بعض الناس استغاث به وهو غائب أو ميت فراه قد جاءه ففضى حاجته ، أو يخبر الناس بما سرق لهم ، أو بحال غائب لهم أو مريض أو نحو ذلك من الأمور.

وليس في شيء من هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها ولي الله عَزَّوَجَلَّ ، بل قد اتفق أولياء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أَنَّ الرَّجُلَ لَوْ طَارَ فِي الْهَوَاءِ أَوْ مَشَى عَلَى الْمَاءِ لَمْ يَغْتَرِ بِهِ حَتَّى يَنْظُرَ مُتَابِعَتَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ وَمُوَافَقَتَهُ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

وكرامات أولياء الله عَزَّوَجَلَّ أعظم من هذه الأمور ، وهذه الأمور الخارقة للعادة - وإن كان قد يكون صاحبها ولياً لله - فقد يكون عدواً لله ، فإن هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين وتكون لأهل البدع وتكون من الشياطين ؛ فلا يجوز أن يُظَنَّ أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ أَنَّهُ وَلِيُّ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ ، بَلْ يُعْتَبَرُ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ بِصِفَاتِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَيُعْرَفُونَ بِنُورِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ وَبِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ الْبَاطِنَةِ وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ الظَّاهِرَةِ.

مثال ذلك: أن هذه الأمور المذكورة وأمثالها قد توجد في أشخاص ويكون أحدهم لا يتوضأ ، ولا يصلي الصلوات المكتوبة ، بل يكون ملبساً للنجاسات معاشرًا

للكلاب ، يأوي إلى الحمامات والقمامين والمقابر والمزابل ،
رائحته خبيثة لا يتطهر الطهارة الشرعية ، ولا يتنظف .

فإذا كان الشخص مباشرًا للنجاسات والخبائث التي
يجبها الشيطان أو يأوي إلى الحمامات والحشوش التي
تحضرها الشياطين أو يأكل الحيات والعقارب والزنابير ،
وآذان الكلاب التي هي خبائث وفواسق ، أو يشرب البول
ونحوه من النجاسات التي يجبها الشيطان ، أو يدعو غير الله
فيستغيث بالمخلوقات ويتوجه إليها ، أو يسجد إلى ناحية
شيخه ولا يخلص الدين لرب العالمين ، أو يلبس الكلاب
أو النيران أو يأوي إلى المزابل والمواضع النجسة أو يأوي إلى
المقابر ، ولا سيما إلى مقابر الكفار من اليهود والنصارى أو
المشركين أو يكره سماع القرآن وينفر عنه ويقدم عليه سماع
الأغاني والأشعار ويؤثر سماع مزامير الشيطان على سماع
كلام الرحمن فهذه علامات أولياء الشيطان لا علامات
أولياء الرحمن .

الحمد لله

على نعمة الإسلام ونعمة العقل

كرامات من كتب الصوفية^(١)

يضرب خادمه بعضوه التناسلي:

الشيخ علي العمري ، من كراماته - كما يروي عنه
النبهاني فيحكي - ما أخبره به إبراهيم الحاج المذكور ، قال:
« دخلتُ في هذا النَّهار إلى الحمام مع شيخنا الشيخ علي
العمري ، ومعنا خادمُه محمَّد الدُّبوس الطرابلسي - وهو
أخو إحدى زوجات الشيخ - ولم يكن في الحمام غيرنا -
أي: ثلاثة في الحمام - !!! قال: فرأيتُ من الشيخ كرامةً من
أعجب خوارق العادات ، وأغربها: وهي أنَّه أظهر الغضب
على خادمه محمد هذا وأراد أن يؤدِّبه ، فأخذَ الشيخ إحليل
نفسه بيديه الاثنتين (أي أخذ عضوه التناسلي من تحت

(١) المصدر: (جامع كرامات الأولياء) ليوسف بن إسماعيل النبهاني ، و(الطبقات
الكبرى) للشعراني. وهما من المراجع المعتمدة عند الصوفية.

إزاره!!) فطال طويلاً عجبياً!! بحيث أنه رفعه على كتفه ، وهو زائدٌ طويلٌ على كتفه وصار يجلدُ به خادمه المذكور!! والخادم يصرخ من شدة الألم ، فعَلَ ذلك مرات ، ثم تركه ، وعاد إحليله إلى ما كان عليه أولاً .

ففهمتُ أنَّ الخادم قد عمل عملاً يستحق التأديب ، فأدبَه الشيخ بهذه الصورة العجيبة ، ولما حكى ذلك الحاج إبراهيم حكاة بحضور الشيخ ، وكان الشيخ واقفاً ، فقال لي الشيخ: « لا تصدِّقه ، وانظر » ، ثم أخذ بيدي بالجبر عني ووضعها على موضع إحليله!! فلم أحس بشيءٍ مطلقاً حتى كأنه ليس برجلٍ بالكُلِّيَّةِ .»

تعليق: الفرَج - عند هؤلاء الصوفية - ليس من العورة المغلظة!!! ويجوز - عندهم - إكراه المرید على وضع اليد على فرج الشيخ!!

يفعل بالجمارة أمار الناس:

علي الوحيش: من كراماته أنه كان إذا رأى شيخ بلد ، أو غيره من الكبار يُنزلهم من على الجمارة ، ويقول له: « أمسك رأسها حتى أفعل فيها » ، فإن رفض شيخُ البلد

تَسَمَّرَتْ الحِمَارَةُ فِي الأَرْضِ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَخْطُوَ خَطْوَةً ، وَإِنْ سَمَحَ لَهُ حَصَلٌ لَهُ خَجَلٌ عَظِيمٌ ، وَالنَّاسُ يَمُرُّونَ !!.

يَأْكُلُ بَرَّازَ الوَلِيِّ وَيَقُولُ إِنَّهُ عَسَلٌ :

إِبْرَاهِيمُ المَعْرُوفُ بـ(الجِيعَانَةُ) ، يَقُولُ النَّبْهَانِيُّ عَنِ شَيْخِهِ عَمْرِ السَّنْزَانِيِّ : « كُنْتُ يَوْمًا بِظَاهِرِ دِمَشْقِ المَحْرُوسَةِ مَعَ جَمَاعَةٍ ، فَرَأَيْتُ الشَّيْخَ إِبْرَاهِيمَ الجِيعَانَ واقفًا ، وَقَدْ أَتَتْ امْرَأَةٌ وَسَأَلَتْهُ الدَّعَاءَ ، وَأَمَرَّتْ يَدَهَا عَلَى أَطْمَارِهِ الرِّثَّةِ ، ثُمَّ أَمَرَّتْ عَلَى وَجْهِهِ .

وَهُنَاكَ فُقَيْهَانِ رُومِيَّانِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا : « يَا حُرْمَةُ تَنَجَسْتَ يَدُكَ بِمَا مَرَّتْ عَلَيْهِ ! » ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ الشَّيْخُ مَغْضَبًا ، ثُمَّ جَلَسَ وَغَاطَ الشَّيْخَ - يَعْنِي أَخْرَجَ الغَائِطَ (البَرَّازَ) مِنْهُ - ثُمَّ نَهَضَ فَتَقَدَّمَ الفُقَيْهَ المُنْكَرَ ، وَجَعَلَ يَلْعَقُ غَائِطَهُ !! وَرَفِيقَهُ مَتَمَسَّكَ بِأَثْوَابِهِ ، وَيَضُمُّهُ وَيَقُولُ لَهُ : « وَيَلِكُ هَذَا غَائِطُ الشَّيْخِ » ، إِلَى أَنْ لَعَقَ الجَمِيعَ بِبَعْضِ التَّرَابِ ، فَلَمَّا نَهَضَ جَعَلَ يِعَاتِبُهُ ، فَقَالَ الفُقَيْهَ : « وَاللَّهِ مَا لَعَقْتُ إِلَّا عَسَلًا !!! » .

الفصل العِشْرُونَ

الأزهر يرد على الصوفية^(١)

قبسات من فتاوى كبار علماء الأزهر

حكم النذر على الأضرحة والأولياء:

قال فضيلة الشيخ عبد الرحمن قراعة مفتي مصر الأسبق /: « النذر لمخلوق لا يجوز لأنه عبادة والعبادة لا تكون لمخلوق. كذلك النذر للميت لأنه لا يملك. والاعتقاد بأنه يتصرف في الأمور دون الله تعالى كُفْرٌ ».

وقال فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم ، شيخ الأزهر الأسبق /: « ١ - النذر لأصحاب الأضرحة والأولياء والصالحين باطل بالإجماع لأنه نذر لمخلوق وهو غير جائز

(١) فتاوى دار الإفتاء المصرية ، نسخة إلكترونية على موقع وزارة الأوقاف المصرية www.islamic-council.com.

فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف حول الأضرحة والقبور والموالد والنذور ، ط دار اليسر بالقاهرة.

لأن النذر عبادة وهي لا تكون لمخلوق أبداً ولأن المنذور له ميت والميت لا يملك.

٢- إذا ظن الناذر أن الميت يتصرف في الأمور دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَاعْتَقَدَهُ كَانَ ذَلِكَ كُفْرًا.

الدفن في المسجد غير جائز:

قال فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم ، شيخ الأزهر الأسبق / : « ١- لا يجوز دفن الموتى في المساجد.

٢- إذا دفن الميت في المسجد نبش عند الإمام أحمد ».

حكم الموالد للموتى ووضع الشمع والقناديل على مقاماتهم:

قال فضيلة الإمام الأكبر محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق / : « الموالد: هي هذه الحفلات الصاخبة ، أو

المجتمعات السوقية العامة ، التي ابتدعها المسلمون في عهودهم المتأخرة باسم تكريم الأولياء ، وإعلاء قدرهم

ومكانتهم ، عن طريق تقديم القرابين ، وذبح النذور ،

وإقامة حلقات الذكر ، وعن طريق الخطب ، والقصص ،

والمناقب ، والأناشيد ، التي تُصَوِّرُ حياة الولي ، وتصف

تَنَقَّلَهُ فِي مَعَارِجِ الْوَلَايَةِ ، وَمَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ عَنْهُ ،
وَيُضَافُ إِلَيْهِ مِنْ كَشْفِ وَخَوَارِقِ وَكِرَامَاتِ .

تَقَامُ تِلْكَ الْحَفَلَاتُ لِأَوْلِيَاءِ الْمَدَنِ ، وَلَكَثِيرٍ مِنْ أَوْلِيَاءِ
الْقُرَى ، وَقَدْ تُقَامُ حَفَلَةُ الْمِيلَادِ فِي السَّنَةِ الْوَاحِدَةِ لِلْوَلِيِّ
الْوَاحِدِ مَرَّتَيْنِ فَأَكْثَرَ ، وَلِهَذَا الْمَوْلَادُ عَلَى الْعَمُومِ عُسَّاقٌ
يُضَعُونَهَا فِي مَصَافِّ الشُّعُونَ الدِّينِيَّةِ الَّتِي يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى اللَّهِ
عَنْ طَرِيقِ الْوَلِيِّ ، فَيَحْفَظُونَ تَوَارِيخَهَا ، وَيَهَيِّئُونَ طَوَالَ الْعَامِ
لَهَا ، حَتَّى إِذَا مَا حَلَّ وَقْتُهَا تَرَاهُمْ يَجْزِمُونَ أَمْتَعَتَهُمْ ،
وَيَرْتَحِلُونَ بِقَضِّهِمْ وَقَضِيضِهِمْ ، بِرَجَالِهِمْ وَنِسَائِهِمْ ،
بِشِيُوخِهِمْ وَشَبَابِهِمْ ، وَيَلْقُونَ بِأَحْمَالِهِمْ - كَمَا يَقُولُونَ -
تَارِكِينَ بِيُوتِهِمْ وَمَصَالِحِهِمْ فِي قُرَاهِمِ وَمَزَارِعِهِمْ ، مَدَّةً
تَتَرَاوَحُ بَيْنَ أَسْبُوعٍ أَوْ أَسْبُوعَيْنِ .

وَالْمَشَايخُ الْأَوْلِيَاءُ مِنْ جِهَةِ تَعَلُّقِ النَّاسِ بِهِمْ وَالْعِنَايَةِ
بِمَوَالِدِهِمْ عَلَى قِيمٍ مُخْتَلِفَةٍ وَدَرَجَاتٍ مُتَفَاوِتَةٍ ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ
يَعْظُمُ عِنْدَ النَّاسِ جَاهَهُ ، وَيَمْتَدُّ فِي نَظَرِهِمْ سُلْطَانَهُ ، وَيَتَسَّعُ
صَدْرُهُ لِكُلِّ لَوْنٍ مِنَ أَلْوَانِ الْحَيَاةِ ، وَلِكُلِّ رَغْبَةٍ مِنْ رَغَبَاتِ
الطَّوَائِفِ ، حَتَّى لَقَدْ تَرَى حَفَلَاتِ الْمَقَامَرِينَ وَالْمَقَامِرَاتِ ،

بجانب حفلات المدمنين والمدمنات ، وبجانبها حفلات
الذَّاكِرِينَ والذَّاكِرَاتِ ، والخلّيعين والخلّيعات ، الراقصين
والراقصات ، ويجوس خلال الجميع المتسولون
والمتسولات ، والنَّشَالُونَ والنَّشَالَاتِ ، وكل ذلك يُصْنَعُ فِي
الموالد ، عليه تقام ، وإليها يهرع النَّاسُ باسم الولاية وتكريم
المشايخ .

ومهما قال عُشَّاقُ الموالد ، والمتكسبون بها ومروجوها
- مِنْ أَنَّ فِيهَا ذِكْرَ اللَّهِ والمواعظ ، وفيها الصدقات وإطعام
الفقراء - فَإِنَّ بَعْضَ مَا تَرَاهُ فِيهَا وَيَرَاهُ كُلُّ النَّاسِ مِنْ أَلْوَانِ
الْفُسُوقِ ، وَأَنْوَاعِ المَخَازِي ، وصور التَّهْتِكِ ، والإسراف في
المال ؛ ما يحتم على رجال الشُّنُونِ الاجتماعية ، وقادة
الإصلاح الخُلُقِيِّ والديني ، المبادرة بالعمل على إبطالها
ومنعها ، ووضع حد لمخازيها ، وتطهير البلاد مِنْ وَصْمَتِهَا ،
ولقد صارت بحق - لِسُكُوتِ العُلَمَاءِ عنها ، ومشاركة
رجال الحكم فيها - مَبَاءَةً عَامَّةً تُتَهَكُ فِيهَا الحُرَمَاتُ ،
وُتْرَاقُ فِي جَوَانِبِهَا دِمَاءُ الأَعْرَاضِ ، وَتُمَسَّخُ فِيهَا وَجُوهُ
العِبَادَةِ ، وَتُسْتَبَاحُ البِدْعِ والمُنْكَرَاتِ ، وَلَا يَقِفُ فِيهَا أَرْبَابُ

الدعارة عند مظهر أو مظهرين من مظاهر الدعارة العامّة ؛
وإنما يتكرون ويتدعون ما شاء لهم الهوى من صور
الدعارة المقوّضة للخلق والفضيلة.

ومن أشد ما يؤلم المؤمن ، أن ترى كثيرًا من تلك
المناظر الدّاعرة تُطوّق في المدن معاهد العلم والدين ،
ومساجد العبادة والتقوى ، على مسمع ومرأى من رجال
الحكم ورجال الدين ، أرباب الدّعوة والإرشاد.

أمّا وضع الشمع والقناديل على مقامات الأولياء
وكسوتها ؛ فينبغي أن يُعرف أولاً: أنّ الدين الحق لا يعرف
شيئًا يُقال له: (مقامات الأولياء) ، سوى ما يكون للمؤمنين
المتقين عند ربهم من درجات ، وإنّما يُعرف كما يعرف الناس
أن لهم قبورًا ، وأن قبورهم كقبور سائر موتى المسلمين ،
يحرم تشييدها وزخرفتها ، وإقامة المقاصير^(١) عليها ، وتحرم

(١) «مقاصير»: جمع مقصورة ، وهي سور من معدن يحيط بالقبر ، يحجب الناس
عن ملامسته مباشرة.

الصلاة فيها وإليها وعندها ، وبناء المساجد من أجلها ،
والطواف بها ، ومناجاة مَنْ فيها والتمسح بجدرانها ،
وتقبلها والتعلق بها ، ويحرم وضع أستار وعمائم عليها ،
ويحرم إيقاد شموع ، أو ثُرِيَّات حولها .

وكل ذلك مما نرى ويتهافت الناس عليه ويتسابقون في
فعله على أنه قربة لله ، أو تكريم للولي ، خروجٌ عن حدود
الدين ، ورجوعٌ إلى ما كان عليه أهل الجاهلية الأولى ،
وارتكابٌ لما حرمه الله ورسوله في العقيدة والعمل ،
وإضاعة للأموال في غير فائدة ، بل في سبيل الشيطان ،
وسبيلٌ للتغريب بأرباب العقول الضعيفة ، واحتيال على
سلب الأموال بالباطل .

أمّا بعد: فهذا هو حُكْم الدِّين في الموالد ، وهذا هو
حكّمه فيما يُصنع بمقامات الأولياء ، فمتى يتنبه المسلمون
ويعودون إلى الهدى الحق؟ ويتقربون إلى الله بما يرضاه الله بما
شرعه على لسان رسوله ، وتقرب به إليه أوليائه ،
الذين آمنوا وكانوا يتقون ، وخير الهدى هدى محمد ،
وشر الأمور محدثاتها .»

ما حكم الشرع في زيارة أضرحة الأولياء والطواف بالمقصورة وتقبيلها والتوسل بالأولياء؟

سئل الشيخ حسن مأمون مفتي الديار المصرية الأسبق
/ : « ما حكم الشرع في زيارة أضرحة الأولياء والطواف
بالمقصورة وتقبيلها والتوسل بالأولياء؟ » .

فأجاب: « أودّ أن أذكر أولاً أن أصل الدعوة
الإسلامية يقوم على التوحيد ، والإسلام يحارب - جاهداً
- كل ما يُقرب الإنسان من مزالق الشرك بالله ، ولا شك
أن التوسل بالأضرحة والموتى أحد هذه المزالق ، وهي
رواسب جاهلية ؛ فلو نظرنا إلى ما قاله المشركون عندما
نعى عليهم الرسول عبادتهم للأصنام - قالوا له: (مَا
نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) (الزمر: ٣) ، فهي نفس
الحجة التي يسوقها اليوم الداعون للتوسل بالأولياء لقضاء
حاجة عند الله أو التقرب منه .

ومن مظاهر هذه الزيارة أفعال تتنافى كُليَّةً مع عبادات
إسلامية ثابتة ، فالطواف في الإسلام لم يُشرع إلا حول

الكعبة الشريفة ، وكل طواف حول مكان آخر حرام شرعاً ، والتقبيل في الإسلام لم يُسنَّ إلا للحجر الأسود ، وحتى الحجر الأسود قال فيه عمر وهو يُقبِّله: « والله لولا أَنِّي رَأَيْتُ رسولَ الله يُقبِّلكَ مَا فعلتُ »^(١).

فتقبيل الأعتاب ، أو نحاس الضريح ، أو أي مكان فيه حرامٌ قطعاً.

وتأتي بعد ذلك مسألة الشفاعة ، وهذه في الآخرة غيرها في الدنيا ؛ فالشفاعة في الدنيا ارتبطت في أذهاننا بما يحدث في هذه الحياة من توسط إنسانٍ لآخر أخطأ عند رئيسه ، ومن بيده أمره ، يطلب منه أن يغفر له هذا الخطأ ، وإن كان هذا المخطئ لا يستحق العفو والمغفرة ، غير أن الله سبحانه وتعالى قد حدّد طريق الشفاعة في الآخرة ، فهذه الشفاعة لن تكون إلا لمن يرتضي الله لهم أن يشفعوا

(١) عَنْ عَابِسِ بْنِ رَبِيعَةَ ، عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ جَاءَ إِلَى الْحَجْرِ الْأَسْوَدِ فَقَبَّلَهُ ، فَقَالَ: « إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجْرٌ ، لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ يُقبِّلكَ مَا قبَّلْتُكَ » (رواه البخاري ومسلم).

لأشخاصٍ يستحقون هذه الشفاعة ، وهؤلاء أيضاً يحدددهم الله ، إذا فكل هذا متعلقٌ بإذن الله وحُكمه ، فإذا نحن سبقنا هذا الحكم بطلب الشفاعة من أي إنسان فإن هذا عبثٌ ؛ لأننا لا نستطيع أن نعرف من سيأذنُ الله لهم بالشفاعة ، ومن يُشَفِّعهم فيهم .

وعلى ذلك يتضح أن كل زيارة للأضرحة والطواف حولها ، وتقبيل المقصورة والأعتاب ، والتوسل بالأولياء ، وطلب الشفاعة منهم ؛ كل هذا حرامٌ قطعاً ومُنَافٍ للشريعة ، وفيه إشراكٌ بالله .

وعلى العلماء أن ينظموا حملة جادة لتبيان هذه الحقائق ؛ فإن الكثير من العامة ، بل ومن الخاصة ممن لم تُتَحَّ لهم المعرفة الإسلامية الصحيحة يقعون فريسةً هذه الرواسب الجاهلية ، التي تتنافى مع الإسلام ، وإذا أخذَ الناس بالرفق في هذا الأمر فلا بد أنهم سوف يستجيبون للدعوة ؛ لأن الجميع حريصون - ولا شك - على التعرف على حقائق دينهم .»

ما حكم ذكر بعض أرباب الطرق الصوفية بلفظ " آه " ؟

سُئِلَ فضيلة الشيخ عطية صقر. رئيس لجنة الفتوى
بالأزهر - سابقاً - / : « ما حكم ذكر بعض أرباب
الطرق الصوفية بلفظ « آه » ؟ » ، فأجاب:

« إن لفظ « آه » لم يثبت بسند صحيح أنه اسم من
أسمائه تعالى . وعليه فلا يجوز الذكر به على ما رآه جمهور
الفقهاء ، وما يُروى من أن النبيَّ زار مريضاً كان يئنُّ
وأن أصحابه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نَهَوْهُ عن الأنين ، وأنه قال
لهم: « دعوه يئنُّ ؛ فإنه يذكر اسماً من أسمائه تعالى » لم يرد في
حديث صحيح ولا حسن كما قرره الثقات ، وما قيل في
بعض الحواشي من أن لفظ « آه » الاسم الأعظم لا سَنَدَ له.

وقد أفتى شيخ الجامع الأزهر المرحوم الشيخ محمد
أبو الفضل الجيزاوي في هذه المسألة فقال ما نصُّه : « إن هذا

اللفظ المسئول عنه « آه » - بفتح الهمزة وسكون الهاء - (١) ليس من الكلمات العربية في شيء ، بل هو لفظ مهممل لا معنى له مطلقاً . وإن كان بالمد (٢) فهو إنما يدل في اللغة العربية على التوجُّع ، وليس من أسماء الذوات ، فضلاً عن أن يكون من أسماء الله الحسنى التي أمرنا أن ندعوه بها ... « إلى أن قال: « ولا يجوز لنا التعبد بشيء لم يرد الشرع بجواز التعبد به .

وفي الصحيحين عن عائشة عن النبي أنه قال: « مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ ». (مجلة الأزهر - المجلد الثالث ، سنة ١٣٥١ هـ ، ص ٤٩٩).

(١) آه.

(٢) آه.

الصور بمناسبة المولد النبوي:

سُئِلَ فضيلة الشيخ عطية صقر / : « ما هو اليوم الذي نصومه بمناسبة المولد النبوي الشريف ، وهل إذا صادف يوم الجمعة يكون صومه حلالاً؟ ». فأجاب:

« صيام التطوع مندوبٌ لا يختص بزمان ولا مكان ، ما دام بعيداً عن الأيام التي يحرم صيامها ، وهى العيدان وأيام التشريق ويوم الشك على اختلاف للعلماء فيه ، والتي يكره صيامها كيوم الجمعة وحده ، ويوم السبت وحده.

وهناك بعض الأيام يستحب الصيام فيها كأيام شهر المحرم ، والأشهر الحرم ، وعرفة وعاشوراء ، وكيوم الاثنين ويوم الخميس من كل أسبوع ، والثلاثة البيض من كل شهر وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ، وستة من شهر شوال ، وكثير من شهر شعبان ، كما كان يفعل النبي ، وليس من هذه الأيام يوم ذكرى مولد النبي ،

والذي اعتاد الناس أن يحتفلوا بها في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول ، فلا يندب صومه بهذا العنوان وهذه الصفة ، وذلك لأمرين:

أولهما: أن هذا اليوم لم يتفق على أنه يوم ميلاده ،
فقد قيل إنه ولد يوم التاسع من شهر ربيع الأول وقيل غير
ذلك.

وثانيهما: أن هذا اليوم قد يصادف يوما يكره إفراده
بالصيام كيوم الجمعة فقد صح في البخاري ومسلم النهي
عنه بقوله : « لَا يَصُومَنَّ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، إِلَّا
يَوْمًا قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ ».

هذا بخصوص صوم يوم الميلاد النبوي في كل عام ،
أما صيام يوم الاثنين من كل أسبوع فكان يحرص عليه
النبى ، لأمرين :

أولهما: أنه قال إن الأعمال تعرض على الله فيه وفي يوم
الخميس ، وهو يجب أن يعرض عمله وهو صائم ، كما رواه
الترمذي وحسنه.

وثانيهما: أنه هو اليوم الذي ولد فيه وبعث فيه كما
صح في رواية مسلم. فكان يصومه أيضا شكراً لله على نعمة
الولادة والرسالة.

فمن أراد أن يشكر الله على نعمة ولادة النبي ورسالته فليشكره بأية طاعة تكون ، بصلاة أو صدقة أو صيام ونحوها ، وليس لذلك يوم معين في السنة ، وإن كان يوم الإثنين من كل أسبوع أفضل ، للاتباع على الأقل .

فالخلاصة أن يوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول ليس فيه عبادة خاصة بهذه المناسبة ، وليس للصوم فيه فضل على الصوم في أي يوم آخر ، والعبادة أساسها الاتباع ، وحبُّ الرسول يكون باتباع ما جاء به كما قال فيما رواه البخارى ومسلم: « ... فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي » . اهـ .

1

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ
بالصواب وإليه المرجع
والمآب. وصلى الله وسلم
وبارك على سيدنا محمد - سيد
رسله وأنبيائه - وعلى آله
وصحبه - صلاةً وسلامًا
نستوجب بهما شفاعته يوم
القيامة. آمين.

فَهْرِسْتَان

أقوال ليست عابرة	٥
مقدمة	٩
هل تعلم أيها المسلم؟!	١٢
الأدلة على حرص رسول الله على بقاء أصلي التوحيد	
نقيتين صافيتين	٢٢
دعوة إلى التمسك بالكتاب والسنة	٢٦
أقوال الأئمة في اتباع السنة وترك أقوالهم المخالفة لها	
.....	٢٩
ما هو التصوف؟	٣١
كيف تجادل صوفياً؟	٣٣
كشف شبهات الصوفية في الدعاء والذبح والنذر	
والاستغاثة بغير الله	٤٥
الرد على الشبهات من طريقين: مجمل ، ومفصل	
.....	٥١

- الرد على قولهم: نحن مذنبون ، والصالحون لهم جاه عند الله
ونطلب من الله بهم ٥٣
- الرد على قولهم: الأولياء ليسوا بأصنام ٥٤
- الرد على قولهم: نحن لا نعتقد فيهم ولكن نتقرب بهم إلى
الله عَزَّوَجَلَّ ليكونوا شفعاء ٥٦
- الرد على قولهم: هذا الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس
بعبادة ٥٦
- الرد على قولهم: أنتم تنكرون شفاعَةَ الرسول ٥٨
- الرد على قولهم: إن الله أعطى النبي الشفاعَةَ ، ونحن
نطلبه مما أعطاه الله ٥٩
- الرد على قولهم: الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك ؛
فالشرك عبادة الأصنام ونحن لا نعبد الأصنام
..... ٦٠
- الرد على قولهم: إن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ، ثم
بنوح عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ٦٦
- أحاديث لا تثبت ، وبالتالي لا يصح الاستدلال بها ... ٦٨

- الرد على من زعم رؤية النبي يقظة بعد موته!! ٧١
- أقوال بعض أهل العلم في هذه المسألة ٧٣
- الرد على الشبهات ٧٤
- ما مدى صحة ما روي عن النبي أنه قال: «أنا في قبري
حي طري»؟ ٧٥
- حديث: مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَسِيرَانِي فِي الْيَقَظَةِ ، وَلَا يَتَمَثَّلُ
الشَّيْطَانُ بِي ٧٧
- اجتماع النبي بالأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ليلة الإسراء في بيت
المقدس ٧٨
- الرد على من زعم أن الأنبياء والأولياء يتصرفون في الكون
..... ٨٢
- بعض الأدلة التي تثبت أن الأنبياء والأولياء لا يتصرفون في
الكون ٨٢
- بعض الأدلة التي تثبت بقاء الأجساد في القبور ٨٥
- أرواح الشهداء والصالحين تتمنى الرجوع إلى الدنيا ولكن
تمنع من ذلك ٨٧

- هل الأموات يسمعون؟ ٨٩
- كشف بعض شبهات من زعم أن الأنبياء والأولياء
يتصرفون في الكون ٩١
- حديث « تعرض عليّ أعمالكم؟ » لم يثبت ٩٢
- الرد على شبهات من زعم جواز التوسل بالمخلوقين في
الدعاء ٩٤
- التوسل المشروع ٩٤
- التوسل غير المشروع ٩٧
- دفع توهم ١٠١
- الرد على شبهات من أجاز التوسل بالمخلوقين ... ١٠٣
- قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ
الْوَسِيلَةَ) ١٠٣
- قوله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ
الْوَسِيلَةَ) ١٠٤
- الحكاية المشهورة عن العتبي لم تثبت ١٠٥

- ١٠٧ حديث استسقاء عمر بالعباس
- لماذا عدل عمر عن التوسل بالنبي إلى التوسل بالعباس ١١٢
- ١١٧ حديث الضرير
- معنى قول النبي للأعمى أن يقول في دعائه: « وَشَفِّعْنِي فِيهِ » ١٢١
- معنى قول الأعمى في دعائه: « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ ، وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، يَا مُحَمَّدُ ، إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي » ١٢٣
- ١٢٣ زيادتان ضعيفتان في حديث الضرير
- ١٢٦ الأحاديث الضعيفة في التوسل
- ١٢٩ أثران ضعيفان
- ١٣٣ قياس الخالق على المخلوقين
- بيان كذب قصة أبي جعفر المنصور مع الإمام مالك عند الحجرة النبوية ١٣٦

- بيان كذب الحكاية المنقولة عن الإمام الشافعي / كان
يقصد الدعاء عند قبر الإمام أبي حنيفة /
١٣٦
- اتخاذ القبور مساجد ١٣٧
- أحاديث النهي عن اتخاذ القبور مساجد ١٣٧
- معنى اتخاذ القبور مساجد ١٤٠
- النهي عن بناء المساجد على القبور يستلزم النهي عن الصلاة
فيها ١٤٠
- اتخاذ المساجد على القبور من الكبائر ١٤١
- اتفقت المذاهب الأربعة على تحريم اتخاذ القبور على المساجد
..... ١٤٢
- قوله تعالى: (قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم
مَسْجِدًا) ١٤٢
- كون قبر النبي في مسجده الشريف ١٤٤
- لم يثبت أن في مسجد الخيف قبر سبعين نبياً؟!
..... ١٤٦

- لم يثبت أن قبر إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وغيره في الحِجْر من
المسجد الحرام؟ ١٤٧
- لم يثبت أن أبا جندل مسجداً على قبر أبي بصير
..... ١٤٧
- شد الرحال لزيارة القبور ١٤٨
- كان كان يزور مسجد قباء ١٥١
- هل حديث « لا تشد الرحال » محمول على نفى
الاستحباب؟ ١٥٣
- زيارة المسجد النبوي والسلام على الرسول وأصحابه
..... ١٥٣
- الحلف بغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ١٥٦
- قول النَّبِيِّ : « أَمَا وَأَبِيكَ لَتَبْنَانَهُ » ، وقوله : « أَفْلَحَ
وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ » ١٦١
- إن الله عَزَّوَجَلَّ أقسم ببعض المخلوقات ١٦٤
- هل الملائكة حلفت بحياة لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ ١٦٥

- قول النبي : « كُلُّ فَلَعَمْرِي لِمَنْ أَكَلَ بِرُقِيَّةً بَاطِلًا ، لَقَدْ أَكَلَتْ بِرُقِيَّةً حَقًّا » ١٦٧
- إلحاق الصلاة على النبي بالأذان ١٦٩
- ذم ما عليه الصوفية من الغناء والرقص وضرب الدف وسماع المزامير ١٧٤
- قول الله عزَّوجلَّ: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ) ١٧٥
- هل حجل عليٌّ وَجَعْفَرٌ وَزَيْدٌ أمام النبيِّ ؟ ١٧٦
- أثر لا يثبت ١٧٧
- الذكر الجماعي ١٧٨
- من مفسد الذكر الجماعي ١٨٣
- الاجتماع على الذكر غير الذكر الجماعي ١٨٣
- استدلّاهم بعموم الأحاديث الدالة على فضل الاجتماع على ذكر الله ١٨٥
- الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ في الفكر الصوفي ١٨٧

- ١٨٨ فقه القصة كما وردت في الكتاب والسنة
- الصواب الذي عليه المحققون أن الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ ميت
- ١٩٧ وأنه لم يدرك الإسلام
- ٢٠١ هل الخضر نبي أم ولي؟
- ٢٠٣ الكشف عند الصوفية
- ٢٠٩ الإيمان بالغيب في الكتاب والسنة
- ٢١٦ قول عمر : « يا سارية ، الجبل »
- ٢١٨ رأس الحسين بن علي
- زعم الصوفية أنه لولا الرسول ما خلق الله عَزَّوَجَلَّ
- ٢٢٠ الخلق
- حديث « لولاك لما خلقت الأفلاك » حديث موضوع
- ٢٢١
- حديث: « غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتك » حديث
- ٢٢١ موضوع
- ٢٢٢ أبوا النبي

معنى قول الله عزَّوجلَّ للنبي : (وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّجِدِينَ)

٢٢٤

قصة أن الله عزَّوجلَّ أحيا والدي النبي قصة موضوعة

٢٢٥

القول بأن أبوي النبي في النار ليس فيه إيذاء له بل فيه تصديق لقوله فيما رواه مسلم: «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ»

٢٢٧

من العلماء الذين قالوا بكُفر والدي النبي ... ٢٢٨

الاحتفال بالمولد النبوي ٢٣٠

كشفت شبهات من قال بجواز الاحتفال بالمولد النبوي

٢٣٥

مواليد الأولياء والصالحين ٢٤٣

أسئلة تنتظر الإجابة ٢٤٦

هل النبي خلق من نور وهل هو أول مخلوقات الله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟ ٢٤٩

الرد على الشبهات ٢٥٢

- ٢٥٧ كرامات الأولياء
- ٢٥٨ معنى الولي
- ٢٦٠ أمثلة للكرامات
- ٢٦٥ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان
- ٢٧١ بعض الكرامات من كتب الصوفية
- الأزهر يرد على الصوفية ، قبسات من فتاوى كبار علماء
الأزهر ٢٧٤
- ٢٧٤ حكم النذر على الأضرحة والأولياء
- الدفن في المسجد غير جائز ٢٧٥
- حكم الموالد للموتى ووضع الشمع والقناديل على مقاماتهم
..... ٢٧٥
- ما حكم الشرع في زيارة أضرحة الأولياء والطواف
بالمقصورة وتقيلها والتوسل بالأولياء؟ ٢٨٠
- ما حكم ذكر بعض أرباب الطرق الصوفية بلفظ "آه"؟
..... ٢٨٣
- الصوم بمناسبة المولد النبوي ٢٨٥

السَّافِيُونَ
وحوار هادي مع
الدكتور علي جمعة

جمع وترتيب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دار الفتح الإسلامي

دار الخلفاء الراشدين

أَجْدِيَّاتُ إِذَا تَهَى
الْعَمَلِ الدَّعْوَى

جمع وترتيب

بِحَبَابِ تَرْصُفِ قَدْرٍ

دَارُ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ

دَارُ الْخَلْفَاءِ الرَّاشِدِينَ

دليل الواعظ إلى أدلة الموعظ

موضوعات للخطب
بأدلتها من القرآن الكريم والسنة الصحيحة
مع ما تيسر من الآثار والقصص والأشعار

جمع وترتيب
نشاطه صديق
المجلد الأول

الخطب من ١ - ٥٠
مع كلمات متعلقة بالخطابة والخطبة والخطيب

دار الفتح الإسلامي

دار الخلفاء الراشدين

دليل الواعظ إلى أدلة الموعظ

موضوعات للخطب
بأدلتها من القرآن الكريم والسنة الصحيحة
مع ما تيسر من الآثار والقصص والأشعار

جمع وترتيب

شحاته صديق

المجلد الثاني

-

?

دار الفتح الإسلامي

دار الخلفاء الراشدين

دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ

موضوعات للخطب
بأدلتها من القرآن الكريم والسنة الصحيحة
مع ما تيسر من الآثار والقصص والأشعار

جمع وترتيب

نشرات صحفية

المجلد الثالث

الخطب من ١٠١ - ١٥٠
مع ١٠٠٠ حديث لا يثبت

دار الفتح الإسلامي

دار الخلفاء الراشدين